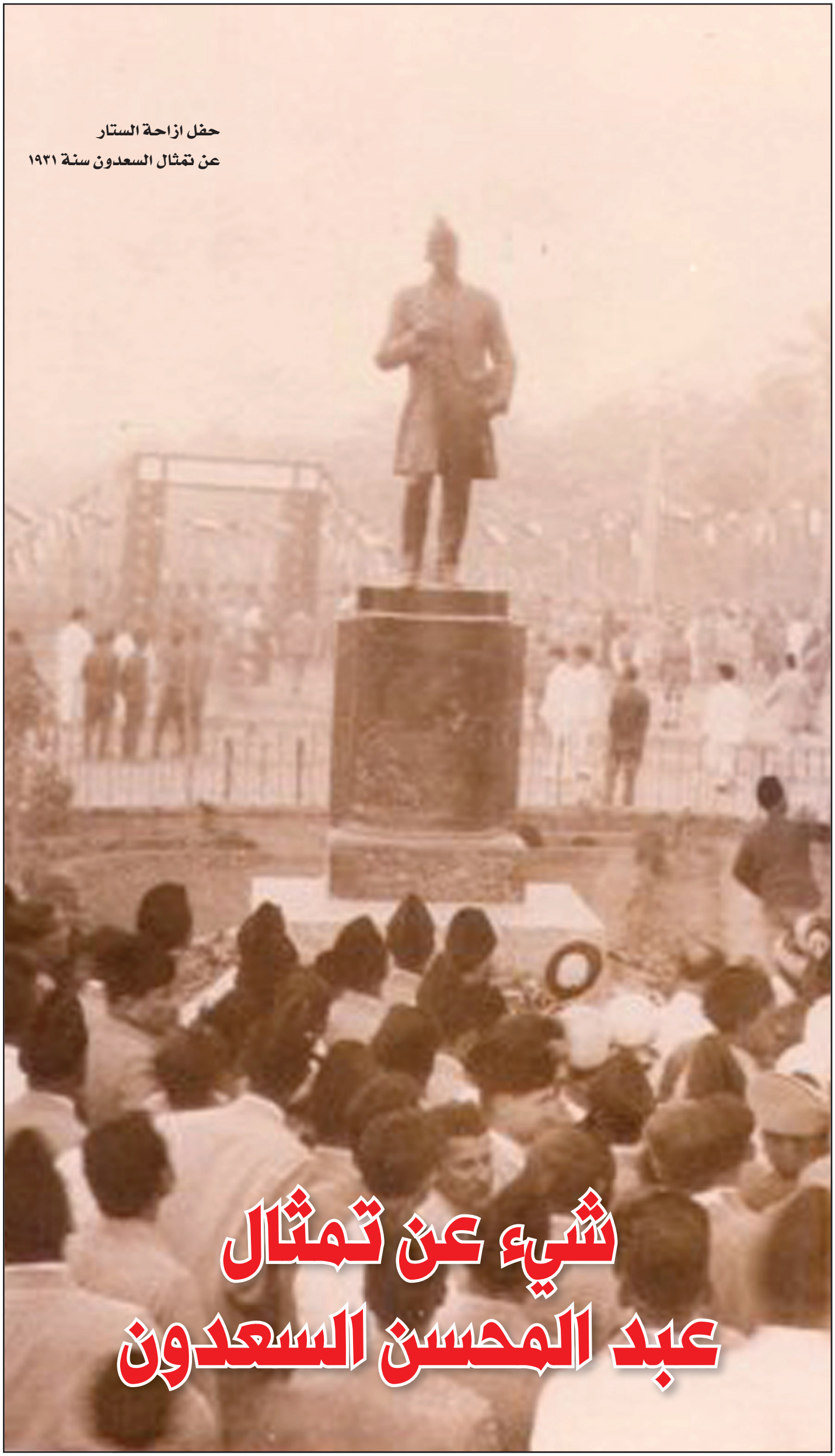

حفل ازاحة الستار
عن تمثال السعدون سنة ١٩٣١

شيء عن تمثال عبد المحسن السعدون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2482) السنة التاسعة
الاثنين (14) أيار 2012

8

نعمان الاعظمي والتجليد

تمثال عبد المحسن السعدون

نجدة فتحي صفوة
مؤرخ ومترجم عراقي

حينما ظهر عبد المحسن السعدون على المسرح السياسي في العراق لدى تكوين الدولة في بداية العشرينات، كان الشعب العراقي، بسبب ظروف العهد القائم انذاك، ونظام المجتمع وطبيعة تكوين الدولة الجديدة، وازدواجية الحكم، وبدائية وسائل الاعلام، يجهل ما يدور وراء الستار من مناورات بين رجال السياسة الوطنيين، وبين سلطة الانتداب التي كان يعز عليها ان ترى خيوط السيطرة على شؤون البلاد تفت من يديها، فتزداد تمسكا بها حينا، ثم لا تلبث ان ترخيها قليلا، لتعود الى شهدها من جديد.

وكانت الدولة الفتية تتجاذب مصيرها قوى متعددة، فهنالك سلطة الانتداب، وكان "الانتداب" صيغة جديدة، ذكية، توصلت اليها الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الاولى خلال مؤتمر الصلح في باريس لتبرير اقتسامها الاقطار المنسلخة عن الدولة العثمانية التي اشتركت في الحرب ضدها.

وكان هنالك ايضا الملك فيصل الاول الذي كان يعمل على ترسيخ عرشه في العراق بعد ان خسر عرشه، ويحاول ان يتحاشى مع الانكليز اخطاءه مع الفرنسيين، وان يفيد من تجاربه السابقة، فالى اي حد كان يستطيع الوقوف بوجه سلطات الانتداب، وكم يستطيع ان ينتزع منها لجل الوقوف امام تيار الرأي العام، محاولا في الوقت نفسه تحقيق التوازن بين مطالب الوطنيين، وضغط البريطانيين.

وكان هناك، اخيرا، رجال السياسة والزعماء الشعبيون، واصحاب النفوذ التقليدي في البلد، وشيوخ العشائر وانتماءاتهم المتنوعة ومصالحهم المتضاربة احيانا، فمنهم الوطني الصادق الذي تعوزه الخبرة والمعرفة، ومنهم المتمرس الذي ينقصه الاخلاص، ومنهم الانتهازي الوصولي، والمثقف، والجاهل، والكفؤ الذي يصلح للحكم، والساذج الذي دفعته الظروف الى الامام.

وفي هذا الجو، وفي خضم هذه الظروف الحساسة والمتضاربة، والبدائية نوعا ما، ظهرت شخصية عبد المحسن السعدون فريدة في طابعها، صافية، متألقة، وكان بحكم نشأته وخلفيته، يختلف عن معظم معاصريه رجالات العراق الذين كانوا يتصدرون المسرح السياسي في الدولة الفتية.

فهو عربي المحتد، صافي الارومة ، تركي الثقافة، عصري النزعة، ينتمي الى اسرة عريقة محترمة كانت لها الرئاسة بين عشائرها ولد في "الناصرية" في سنة ١٨٧٩ لأسرة شريفة هبطت العراق من الحجاز في اوائل القرن السادس عشر الميلادي، ثم اسست في "المنتفق" امارة دامت اكثر من ثلاثمئة سنة. وقد حكم غير واحد من اجدار عبد المحسن البصرة الى جانب المنتفق، وكان والده فهد باشا السعدون شيخا للمنتفق منذ سنة ١٨٦٥، ولما قضت الدولة العثمانية على امارة ال السعدون، نصبت فهد باشا متصرفا للناصرية.

ولما بلغ عبد المحسن الثالثة عشرة من عمره ارسله والده، بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني، الى اسطنبول ليلتحق بمدرسة فتحها لابناء العشائر، فلما اكمل دراسته فيها انتمى الى المدرسة الحربية في اسطنبول، وتخرج فيها، وعينه السلطان عبد الحميد في عداد مرافقيه (الياوران).

وعلى اثر اعلان الدستور العثماني انتخب نائبا عن المنتفق في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) وصار يصغي الى مناقشات المجلس، ويجالس اقطاب الدولة وساستها ومندوبي ولاياتها، وكان بينهم نائب شاب من اشراف الحجاز، يمثل ولايته ، اسمه "فيصل". وبذلك خبر الحياة البرلمانية ومداوراتها ومناوراتها.

وهذه جميعا تجارب لم تتح لغيره من الرجال الذين احاطوا بالملك فيصل الاول عند اعتلائه العرش امثال عبد الرحمن النقيب، وياسين الهاشمي وجعفر العسكري ونوري السعيد وغيرهم كما انه لم يلتحق بالثورة العربية، كما فعل بعضهم، ولم تكن له بالانكليز صلات سابقة كالتي كانت لهم.

عاد عبد المحسن السعدون الى العراق على اثر قيام الدولة العراقية، فعين وزيرا للعدلية في سنة ١٩٢٢ في وزارة السيد عبد الرحمن النقيب، ثم تولى رئاسة الوزراء بعد ذلك اربع مرات وترأس المجلس التأسيسي الذي سن الدستور العراقي.

كان عبد المحسن السعدون رجلا نزيها فوق الشبهات، تتمثل فيه السجايا العربية الاصيلة، كريم الطبع مترفعا، شديد الاعتزاز بسمعته وكرامته الشخصية والوطنية ومن امثلة نزاهته وتجرده انه رفض تعيين ابن اخيه (توفيق السعدون) بوظيفة صغيرة، مع انه كان شابا كفوءا ومثقفا ومتخرجا في كلية الحقوق، وقال لا يسوغ ان اوظف اقربائي وانا في منصب وزاري، حتى بلغ الامر بتوفيق السعدون (على ما روى لي بنفسه في نادي العلوية ببغداد قبيل وفاته) ان تشاجر مع عمه وبقي غاضبا عليه لمدة طويلة.

وكان السعدون رجلا واسع التفكير، متسامحاً، بعيدا عن التعصب، وكانت في شخصيته جوانب انسانية عالية. وقد حدث مرة ان هاجمه احد الموظفين (او العاطلين عن العمل) وهو في طريقه الى مكتبه وطعنه بمدية قوية احدثت في وجهه جرحا بليغا نقل على اثره الى المستشفى وكاد يودي بحياته.

تمثال السعدون اليوم

ومع ذلك فاجأ السعدون الناس باعلان عفوه عن الرجل الذي احيل الى القضاء، وقال، لا شك انه جائع جدا ودفعه الجوع الى هذا العمل. ولم يكتف بذلك بل اخذ يمد اسره ذلك الرجل ببعض المال من وقت لآخر. فاين هذا التسامح وسمو النفس مما شهدناه في العراق في ايمانها هذه من قطع الاذان واللسان لمن يتفوه بانتقاد بسيط للطاغية بل القاؤه للكلاب الجائعة تمزقه اربا اربا.

كانت جريدة "الاستقلال" التي تصدر في بغداد تتعرض للسعدون بالنقد القاسي وهو رئيس الوزراء، وقد طلعت مرة بمقالة عنيفة في الهجوم عليه، ووصفت السعدون ووزراءه قائلة، ".. وجوه من قردة، وقلوب من خنازير، ارثي نقطة الحياء في هذه الوجوه الصفيقة.." .

وفي اليوم التالي طلعت جريدة "التقدم" الناطقة بلسان "حزب التقدم" الذي يرأسه عبد المحسن السعدون، بمقالة ترد فيها على مقالة "الاستقلال" شأن المساجلات الحزبية. فما كاد السعدون يطلع عليها حتى استدعى رئيس التحرير وامره بالكف عن الرد على جريدة "الاستقلال" والتعرض لها، قائلا، "هذه جريدة تكتب بروح وطنية تؤمن بها، فاذا هي هاجمتني بعنف وكان لا بد من الرد، فليكن الرد كريما يا ولدي".

وحين تروي هذه الحادثة اليوم نتذكر رد فعل صاحب التمثال الاخر الذي اطيح به، اذ امر بالقاء احد كبار الصحافيين بل نقيبهم (عبد العزيز بركات صاحب جريدة "المنار") في حوض من (الاسيد) وتذويب جثته فيه بسبب تهمة قديمة لايعاقب عليها اي قانون ارضي او سماوي بل كان السعدون يتعمد الافادة من انتقادات الصحف لاعمال وزارته، وكثيرا ما صرح في مناسبات سياسية خاصة بان "نقد الصحف قوة لنا في المطالبة بحقوقنا وحاث لنا على تعديل المعوج من سيرنا"، حتى انه حاول في بعض الاحيان، متعمدا، ان تتسرب مناقشات الوزارة ومواقفها من بعض القضايا الى الصحف المعارضة لكي يستغل انتقادات تلك الصحف في التأثير على مواقف الجهات البريطانية من تلك القضايا.

ولما تولى عبد المحسن السعدون رئاسة الوزراء في عهد الانتداب كان المندوب السامي البريطاني كل شيء في الحكم والسياسة والادارة في الدولة الناشئة وكان هم السعدون استعادة سيادة البلاد تدريجيا.

وكان المندوب السامي في تلك الفترة السير هنري دوبز الذي كان رجلا عنيدا متغطرسا وفي احد الايام كان يباحث السعدون، وهو رئيس للوزراء في بعض شؤون الادارة والسياسة، ويتحدث بغطرسته المعتادة، والسعدون يناقشه بالحسنى والمنطق، وبما انصف به من تان وادب رفيع ولما رأى دوبز تصلب السعدون في موقفه قال له بلهجة صارمة. "تريد يا عبد المحسن بك ان تكون ديكتاتورا في البلاد؟".

فاجابه السعدون "لايمكن ان يكون ديكتاتور في البلاد وانت موجود في مركزك هنا".

وغضب المندوب السامي وضرب المنضدة التي كانت امامه بيده، وتكلم بصوت مرتفع، فما كان من السعدون الا ان ترك مجلسه وقصد البلاط الملكي وقدم الى الملك استقالته، وعاد الى بيته رافضا موقف المندوب السامي والتصرف الذي بدر منه.

واهتزت دار المندوب السامي للحادث، ولم يسع السير هنري دوبز، على ما عرف عنه من

صلابة وخشونة، إلا ان اوفد الى السعدون مستشار وزارة الداخلية البريطاني كينهان كورنواليس (الذي اصبح سفيرا لبريطانيا في العراق في ما بعد) مع كتاب اعتذار، مرفقا بصورته الفوتوغرافية، وعليها اهداء بخطه قال فيه، "تجلة واحترام للسعدون". فوافق السعدون على سحب استقالته بعد إلحاح من كوتواليس.

وكان السعدون في احد الايام في حضرة الملك فيصل الاول، وكان وكيل المندوب السامي هيوبرت يونغ معهما حين غمزه يونغ بعبارة لم يرتح لها، فقال له غاضبا، "لا اقبل منك هذا.. اني اذكرك بانك تخاطب رئيس وزراء العراق.."، ثم التفت الى الملك فيصل معتذرا بادب ولباقة.

وفي يوم ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٩، افتتح الملك فيصل الاول مجلس النواب والقى "خطاب العرش" الذي عرض فيه سياسة الحكومة ومنهاجها، ثم تكلم رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون مجيبا على خطاب العرش حسب التقليد المتبع، وواجه السعدون المجلس بالحقيقة المرة قائلا. لهم "الامة التي تريد الاستقلال يجب ان تتهيأ له، ولا يكون ذلك بالكلام والاقوال الفارغة، فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية. ولم يكن السعدون ينهي خطابه حتى رأى المتصيدون في الماء العكر ان يستغلوا مواجهته للنواب بالحقيقة المرة عندما قال لهم ذلك، فسعوا بالوشاية ضده لدى دار المندوب السامي البريطاني احراجا لموقفه، واسمعه بعض النواب كلاما لا تحتمله نفسه الابية، وانتقد بعض النواب سياسة الوزارة مدفوعين بالعواطف، وتمادى بعضهم في التهكم والسباب واتهمه احدهم، وهو النائب الكردي معروف جياووك بما يشبه الخيانة، وترك السعدون وحيدا لمواجهة حملة المعارضين، ولم ينهض احد، حتى من نواب حزبه (حزب التقدم) لمناصرته في المجلس، بل اكتفوا بالتصويت الى جانب جواب خطاب العرش الذي القاه.

وعاد السعدون مساء الى بيته، وترك رسالة الى ابنه (علي) باللغة التركية، وترجمتها، "ولدي وقرة عيني ومستندي علي، اصفح عني بسبب الجناية التي ارتكبتها، فقد سئمت هذه الحياة واجتويتها. لم اجد في حياتي لذة ولا متعة ولا شرفا ، الامة تتوقع الخدمة، والانكليز لا يوافقون ليس ثمة سند. العراقيون الذين يريدون الاستقلال ضعفاء، عاجزون، بعيدون جدا عن الاستقلال انهم عاجزون عن تقدير نصائح الشرفاء امثالي. يظنون انني خائن للوطن وعبد للانكليز. ما اعظمها من نكبة، انا الذي اكثر الناس اخلاصا لوطني تحت كل انواع الاهانات والمذلات، وذلك من اجل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها ابائي واجدادي مرفهين، ولدي، ان نصيحتي الاخيرة هي:

١- العطف على اخوانك الصغار الذين سيصبون ايتاما والاحترام لوالدتك، والاخلاص لوطنك.

٢- الاخلاص المطلب للملك فيصل وذريته اصفح عني يا ولدي.

عبد المحسن.

ترك هذه الرسالة على مكتبه ثم خرج الى الشرفة واطلق النار على نفسه.

ووقع خبر انتحار السعدون على الشعب العراقي وقع الصاعقة، وهرع الوزراء والاطباء والساسة الى داره، كما ذهب اليها الملك فيصل الاول، ووقف امام جسده مذهولا، وهو يقول: "لقد خسرتك انا، وخسرتك البلاد".

وكان لانتحار السعدون، وهو في رئاسة الوزارة، اثاره المختلفة على الشعب، والملك، وسلطة الانتداب.

فقد اثار هذا الانتحار ضمير الشعب والمه واثار نقمته على الانكليز والمتعاونين معهم، وكذلك احرج الملك فيصل واضعف موقفه امام الشعب، وقواه اما الانكليز اما الانكليز فقد احرجهم الامر، واوقعهم في حيرة ووجهت دار المندوب السامي كتابا شديد اللهجة الى الملك فيصل اشارت فيه الى الهياج الذي احدثه نشر كتاب السعدون او وصيته في الصحف مما ادى الى الاخلال بالهدوء والسكينة، بخاصة العبارة التي وردت فيها "الامة تريد الخدمة، والانكليز لا يوافقون"، اذ اثار ذلك نقمة الرأي العام عليهم، وخرجت الجماهير تهتف هتافات معادية للانكليز مثل "عبد المحسن نأخذ ثاره" و "ساعة يا لندن مرهونة".

وارسل المندوب السامي برقية سرية الى حكومته يخبرها بالحادث جاء فيها، "على الفور، يؤسفني ان اخبركم ان السير عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء اطلق الرصاص على نفسه في الليلة الماضية.

"وقد قيل لي انه كان منذ مدة مرهقا بنتيجة المطالب الموجهة اليه من زملائه ومؤيديه، والتي كانت تتضارب مع وجهات نظره في واجباته نحو البلاد وولائه لزملائه البريطانيين، ان وفاته خسارة عظيمة للبلاد، ولنا".

وقررت الحكومة العراقية على اثر هذه الحادثة المؤلمة، اقامة تمثال لعبد المحسن السعدون في بداية شارع من اهم شوارع العاصمة اطلق عليه اسمه ايضا، وهو شارع السعدون.

اما الناس في بغداد، فقد تناقلوا على اثر الحادث اقوالا واشاعات مفادها ان انتحار السعدون كان بسبب حال غير طبيعية من الكآبة واملرض النفسي الذي كان كامنا لديه، وان الامر كله لم يكن يستوجب الانتحار. لم ينج اي سياسي في العراق من اتهامات عنيفة يكيلها له خصومه بالحق او بالباطل. وقد كان بامكانه ان يستقيل مثلا، او يعتزل الحياة السياسية، وكان في ذلك ما يكفي لصيانة كرامته وتضميد الجرح الذي شعر به وقد تعززت ادعاءات القاتلين بذلك الرأي على اثر انتحار ولده (علي) ايضا بعد والده بسنوات، اذ اخذوا يعزون الامر الى حال نفسة وراثية.

وقال آخرون: "فتش عن المرأة"، وذهبوا الى ان زوجة عبد المحسن السعدون كانت تزعجه بدرجة لا تطاق وتنغص عليه حياته، مما سود الدنيا في عينيه، وجعله يكره الحياة، فعمد الى التخلص منها في لحظة يأس قاتل ولكن، اذا صح هذا التاويل، فما معنى رسالته الى ولده، وما معنى ما اوصاه به من وجوب الولاء والاحترام لوالدته؟

ان الدراسات التي صدرت عن عبد المحسن السعدون حتى الان معدودة، وهي لم تتناول هذه النواحي ولم تلق عليها ضوءا كافيا، فهي عبارة عن سرد لوقائع حياة الرجل منذ ولادته حتى وفاته، من دون تحليل لشخصيته ونفسيته وحياته اليومية وعاداته الشخصية وارائه في الناس والحياة، وظروف انتحاره وملابساته المعقدة، وبواعثه الانية والكامنة.

وذلك فان معظم تلك الدراسات ليست الا (سيرة رسمية) تكاد تكون خالية من الجوانب الانسانية.

ان الرجال المتفانين في خدمة اوطانهم، والذين يضحون بحياتهم في سبيل كرامتهم ومبادئهم هم اناس غير اعتياديين ولا يحفل تاريخ البشرية منذ اقدم عصورها بغير عدد قليل جدا من الرجال الذين اقدموا على ما اقدم عليه عبد المحسن السعدون، وان سير اولئك الرجال تبقى منارا للاجيال التالية، وتكون دروسا رائعة في الفداء ونكران الذات. وفي حياة هذه الشخصية الفريدة في تاريخ العراق الحديث كثير من الدروس والعبر، لاسيما امام ما نشاهده من التخاذل والذل من جانب البعض ازاء الازمات او لدى مواجهة العدو.

ملحق (النهار) 2003

أسرار مكتبة مكنزي تتكشف!

زين الدين احمد

كنت على اتصال وثيق بالحاج أمين المميز، أحد دبلوماسيينا المتمرسين والكاتب الذي أرخ لبغداد فشاع صيته في كل مكان، وكانت زياراتي الأسبوعية له تستغرق ساعات يملى علي خلالها ما لم ينشره في مقالاته وبحوثه أو عبر كتبه العديدة، حتى قال لي مرة أن مصطفى علي كان راوية الرصافي وأنت ستكون راوية المميز، وأذكر أنني كنت أعد بحثاً عن نعمان الاعظمي شيخ كتبيي ومجلدي بغداد فاستعنت بما لديه من معلومات عن كتبيي ذلك الزمان فروى لي أسرار مكتبة مكنزي التي تقع منتصف شارع الرشيد ومازالت قائمة باسمها الأجنبي رغم تعليمات أمانة بغداد باستبدال الأسماء الأجنبية بعربية أصيلة.

قال لي الحاج أمين المميز رحمه الله: بعد الاحتلال الإنكليزي لبغداد عام ١٩١٧ شغلت القشلة من قبل بعض دوائر الحكومة الوطنية، وكانت إحدى الغرف الواقعة على يسار مدخل القشلة يشغل من قبل مكتبة صغيرة تتعاطى بيع الكتب والمجلات والصحف الإنكليزية كتب على مدخلها كلمة بوك شوب (Book Shop) ولما توسعت المكتبة انتقلت إلى البناية العائدة إلى شركة بيت اللنج في شارع الرشيد وصارت تستورد كافة أنواع الكتب حتى المطبوعات غير الإنكليزية وكان يشغل جزء من هذه المكتبة بالاتفاق مع صاحبها، شخص يهودي يدعى المستر جستن، يتعاطى بيع الأحذية الأجنبية وخاصة الإنكليزية منها وهو بغدادي خال الدكتور البير الياس الذي ابعد عن العراق وأسقطت عنه الجنسية العراقية إبان حوادث التجسس الصهيوني في بغداد أوائل الخمسينات، أما خاله المستر جستن فقد غادر بغداد قبل ذلك بمدة طويلة والغي محله في مكتبة مكنزي، وكان المستر جستن هذا قصير القامة، اصفر الشعر، ابيض الوجه، ازرق العينين وهو اقرب إلى الجنس الإنكليزي منه إلى الجنس اليهودي الذي يمتاز بالأنف المحدب والشعر الأسود والعيون السوداء.

وكان محل جستن هذا ملتقى كثير من الشخصيات السياسية والوزراء السابقين ورجال المال والصحفيين والتجار والمتقاعدين وبعض المحامين من حدب وصوب يقصدون هذا المحل لتبادل الأخبار وتناقل الشائعات الرائجة في البلد حول الأوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها، وكان جستن ينقل الأخبار والشائعات يوماً بيوم لمرجعه وعندما كنت اقصد مكتبة مكنزي للبحث عن كتاب أو مجلة- والحديث مازال للأستاذ المرحوم المميز- أو لاقتناء حذاء من محل جستن أشاهد المحل مكتظاً بالشخصيات أعلاه وقد شاهدت مراراً حكمت سليمان السياسي العراقي المعروف يتردد على ذلك المحل كما تتردد على ذلك المحل كما تتردد عليه أيضا شخصيات معروفة اذكر منها الوزير السابق جميل الوادي والصحفي عادل عوني والمحامي عيسى طه وغيرهم ممن لا أتذكرهم الآن، وبعد مغادرة المستر مكنزي العراق أودعت المكتبة إلى مساعده العراقي السيد كريم الذي بقي يدير المكتبة حتى وفاته كما اذكر وصار يعرف بين أصدقائه وزبائن المكتبة (كريم مكنزي) ولنا جولة أخرى مع المميز وذكرياته.

مكتبة مكنزي في عمارة بيت لنج

عن اقدم الصحفيين الرياضيين

شاكر اسماعيل دخل بلاط صاحبة الجلالة موزعا وخرج منها محرراً

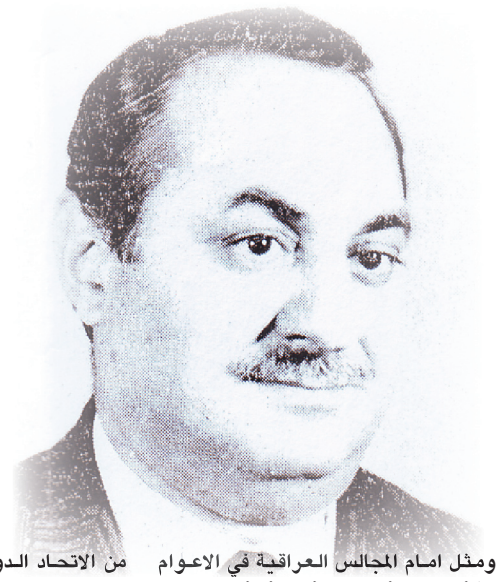
شاكر اسماعيل

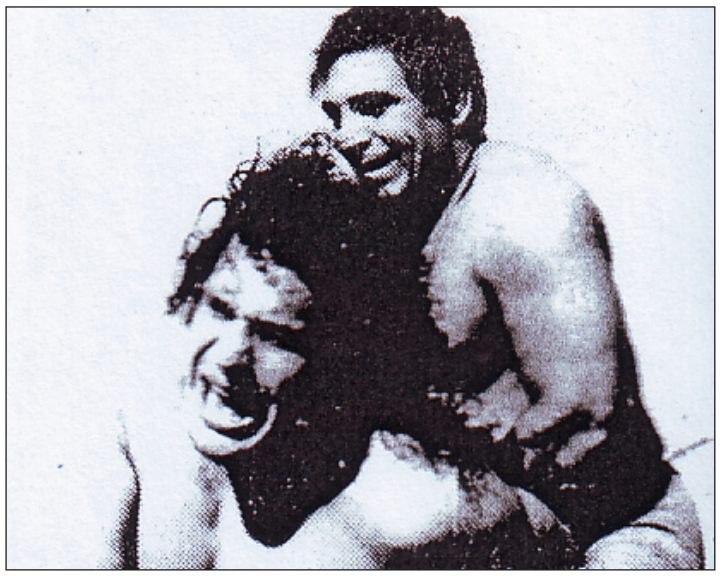
عدنان القيسي في احد ملاحمه الاستعراضية

قال الصحفي الراحل ابراهيم اسماعيل عن رفيق دربه شاكر اسماعيل في كلمة نشرتها جريدة الملعب مطلع العام ١٩٦٣.

ان شاكر اسماعيل صحفي معتق يمتلك موهبة التعبير بالكلمة بصورة بارانومية مشحونة بالافكار والصور ذات النكهة الابداعية الخاصة، كون اسمه بالجهد والعرق فهو من تلامذة مدرسة الزمن الذين يحفرون الارض باظافرهم بحثا عن المعرفة ادراكا للنجاح.

حياته اقوى مؤلفاته فاذا لم يكن هناك كفاحا فليس هناك نجاحا.. هذا هو شاكر اسماعيل احد اقدم محرري الرياضة في العراق فماذا يقول؟

علقت التراب مع الحليب!

ان يولد الانسان وفي فمه ملعقة من فضة او ذهب، هو غير الانسان الذي يلعق مع حليب امه تراب الارض ويتنفس دخان المواقد ، انهما نقيضان.

الاول يعيش طائرا طليقا بين الابراج العاجية والنجوم المتلألئة.

والثاني يزحف ارضا ليؤدي ضريبة الحياة كفاحا وكدحا وعنتا وارهاقا والما!

الاقدار هي التي تضعك هنا او هناك.. في الضوء او في الظلام.

وعليك ان تسعى وتكافح لتجد لنفسك مكانا تحت ضوء الشمس وفي زحام المجتمع.. انا واحد من هؤلاء.. من المعذبين في الارض والباحثين عن المتاعب.. الحياة مدرستي والزمن مذهبي.

كافحت لاعلم نفسي وكان الكتاب معلمي الذي فتح نوافذ المعرفة امامي فضلت ان اشتري كتابا بدلا من رغيف الخبز.. قهرت الجوع بالقراءة والبؤس بالمعرفة.

من الرياضة الى السياسة

حدث ذات مرة ان تقدمت الى صحيفة بغدادية معروفة وانا احمل اليها مقالا سياسيا لانني لم اكن املك اجور ارساله بالبريد المسجل، ولما كانت هيأتي لا توحي بأني كاتب الكلمة لرثاثة ثيابي قلت لمدير التحرير المسؤول هذه رسالة من سيدي الذي اعمل ساعيا لديه طالبا رجاء نشرها اذا كانت صالحة للنشر.

وفي اليوم التالي وجدت الكلمة تحتل مكانا بارزا في الصفحة الاولى ولكنها تحمل توقيع (ش.أ) بدلا من شاكر اسماعيل فقصدت ادارة الجريدة مستوضحا عن اسباب ذلك فقال لي مدير التحرير وما شأنك انت بذلك؟ قلت له لأنني انا الكاتب ومن يومها حصلت على عمل في تلك الجريدة التي كان يتولى ادارتها الاستاذ الراحل لطفي بكر صدقي ووجدت لي عملا في بلاد صاحبة الجلالة الصحافة وامكانية شراء ملابس جديدة تنفي عني تهمة التشرد!

محمد سلامة

من هذا الباب الضيق ولجت دنيا الصحافة لتنفتح بعدها امامي ابواب النجاح مشرعة تاركا بصماتي وراء اكثر من عمل اعلامي نافع يتحدث عن نفسه بنفسه وان اعمالي المميزة تقول:

- عمل في الصحافة منذ عام ١٩٤١ مراسلا لمجلة الصباح المصرية هاويا باسم مستعار (شاكر محمد سلامة).
- كتب لجريدة العراق عام ١٩٤٣ سلسلة من المقالات متصديا للافكار النازية ومدافعا عن الحرية والديمقراطية وساهم بالكتابة لجريدتي (صوت الاحرار والجبهة الشعبية).
- انغمر في العمل السياسي اشتراكي الميول، ومثل امام المجالس العراقية في الاعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٢ و ١٩٥٦ و١٩٥٩ واحتجز موقوفا عدة مرات.
- امتهن العمل الصحفي محترفا منذ عام ١٩٤٨ محررا في جرائد (الاخاء) و(اسيا) و (العالم العربي) و(الاتحاد) و(صدى الاتحاد) و (اخبار الساعة) و(الاخبار) و(البلاد) و(الاهالي) و(الرأي العام) و(الثورة) و(المنار) و(الملعب) و(الملاعب) و(الشعلة) و(الجمهورية) و(الرياضي) و(البعث الرياضي) و(الرشيد) واخيرا (المبارز العربي).
- امتهن التمثيل المسرحي عام ١٩٤١ وقام ببطولة عدة مسرحيات باشراف عميد المسرح العراقي حقي الشبلي وبمشاركة الفنان رضا الشاطي والمحامي مهدي البياتي.
- عضو نقابة الصحفيين العراقيين عام ١٩٥٩.
- عضو الاتحاد الدولي للصحافة ١٩٧٨.
- عضو الاتحاد العربي للصحافة عام ١٩٧٣.
- عمل في العام ١٩٥٩ في اربع صحف بغدادية في وقت واحد هي الاهالي والبلاد والرأي العام والثورة وكل اعمدة صفحاتها الرياضية كانت تحمل صبا كل يوم كلمة بتوقيع (شاكر اسماعيل).

منح مفتاح مدينة موسكو لاول صحفي عراقي!.

- كان من بين الذين فازوا بجوائز مجلة الريدرز دايجت الامريكية عام ١٩٤٥ الذين اطلقوا على مطبوعها العربي اسم مجلة المختار.
- فاز عام ١٩٤٦ بجائزة احسن قصة عراقية باسم رجل من الشارع.
- كرمه الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٤ بمنحه مفتاح موسكو تقديرا لجهوده في خدمة الرياضة والسلام.
- منح وسام الصحافة العالمي وشهادة تقديرية من الاتحاد الدولي للصحافة الرياضية مع الزميلين ابراهيم اسماعيل وضياء حسن.
- منح عام ١٩٨٨ وسام اللجنة الاولمبية الوطنية العراقية اعترافا بجهوده في خدة الحركة الاولمبية في اول احتفالية لليوم الاولمبي في العراق الى جانب اوسمة وتكريم من اكثر من جهة عراقية وعربية واجنبية على حد سواء وتوليه مناصب اعلامية رياضية عدة.

15 الف كلمة

وكان اول صحفي رياضي يقدم الى المحاكم لكتابته مقالا يتهجم فيه على المصارع الراحل الحاج عباس الدك عام ١٩٥٤ وحكم عليه وعلى جريدة (الاخبار) بغرامة مالية تنازل الديك عن استلامها توفيقا لصلات الصداقة بين الجانبين معلنا انه استطاع ان يقهر المصارع الالماني كريمر ولكن الصحافة قهرته! وعلى يد اصغر صحفي من بغداد!.

وكما نجحت في معركتي ضد المصارع الراحل عباس الدين خسرت معركة اخرى كان بطلها المصارع المعروف عدنان القيسي واليكم هذه القصة.

معركة خسرتها!

رافقت بطولات المصارع المعروف عدنان القيسي حملة اعلامية قدتها بنجاح واثارت ضجة كبرى في الشارع الرياضي كان القيسي يرسل الى مجلتنا (الملعب) قصاصات من صحف امريكية تصور بطولات القيسي في الولايات المتحدة وانحاء كثيرة من العالم وكان نشرها يلاقي اقبالا من القراء الذين يجدون في انتصارات القيسي عالميا انتصارات للرياضة العراقية / كتبنا للقيسي ان يتوجه الى بغداد لخوض سلسلة من تلك النزالات البطولية مع اشهر ابطال العالم في المصارعة الحرة غير المقيدة لان اصدار انتصاراته البطولية اثارت في قلوب المواطنين الشعور بالقوة والاعتداد بالنفس وانهما مكفولة بالنجاح ماديا ومعنويا.

كان الجمهور الرياضي بحاجة الى جرعات معنوية تنمي فيه شعور التفوق. وجاء القيسي وسط ضجة اعلامية وشهدت نزالاته من الاقبال ما يفوق الوصف واصبحت كل الساعة في مكان.

ولكن ادركنا بعد فوات الاوان ان هذه النزالات مرسومة سلفا وهي من العاب السيرك الاستعراضي وان كان الغرب يزعم في صحفه ومجلاته انها بطولات عالمية!!.

انها ابتزاز رياضي وهي بطولات وهمية شاركت اسفا في الترويج لها بتكريس جريدة الملاعب لهذه البطولات الموهومة.

وعند افتضاح امرها غادر القيسي بغداد متخفيا بدون كلمة وداع.

وهكذا نجحت العملية ولكن مات المريض.

الحياة نجاح وفشل ولكن يبقى النضال روح الحياة.

ج. الاتحاد 1986

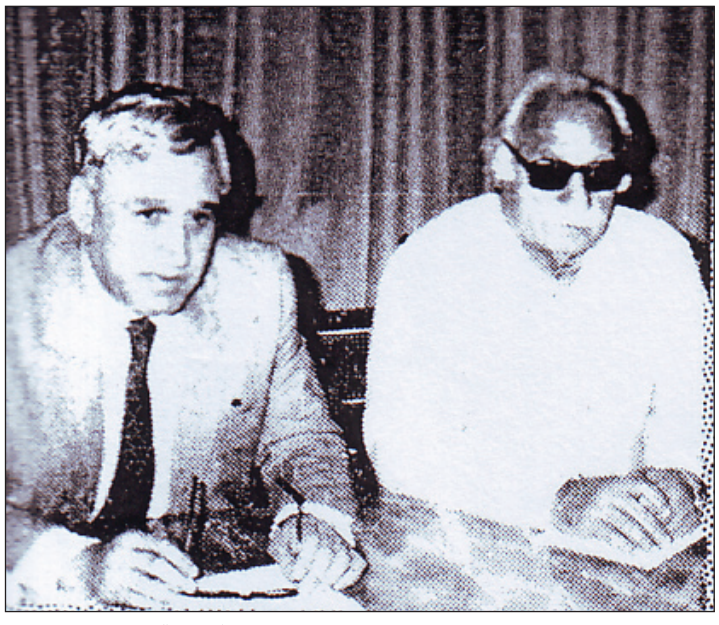
مع زميله مؤيد البدري في ندوة رياضية

استقالة ابراهيم صالح شكر المدوية 1931

ابراهيم صالح شكر
٢٣ كانون الثاني ١٩٣١
صاحب السعادة المحترم
منصرف لواء بغداد
تحية واحتراما:

وبعد فان عصامية وثبت من مكامن الكرامة، في اروع صور الجلال، وفي انبل عواطف الاخلاص فكانت سراج الشم، ومصباح الاباء، ومازالت ملتمعة على حواشي الايام وصفحات الحوادث، منذ "تنمر الاتحاديين" حتى استنسار "الجندي الصغير".

هذه العصامية اللامعة الوضاءة، لا تطفئها اكاذيب العصبة الغادرة ولا تمس بالكيد الخبيث الساقط، وانما تظل مشعة ساطعة الشعاع، فنورها مستمد من تقوى الوطن، وايمان العقيدة المخلصة المطمئنة، ويأبى الله الا ان يئم نوره ولو كره "الخائنون".

هذه العصامية المؤمنة المطمئنة مازالت ولن تزال تغني انشودة المجد، في احرج المواقف الخطرة، وتنشد لحن الكرامة، في اخطر الظروف الصعبة، فاذا عبس الحظ، وتكدر العيش، وتجمعت الحياة، راحت باسمة لوجاء هائمة الضمير، مطمئنة النفس، فمهمتها في الحياة مقارعة الصعاب، ومنازلة الكوارث، والعمل على ما يرضى امجاد البلاد وضمير الواجب الوطني.

هذه العصامية المخلصة الابية، لا تسف الى المبآت الاهلة بالحشرات والجراثيم فتجارى اعداء البلاد ، وصنائع العانس الشمطاء" المترجلة بين "اشباه الرجال" وانما هي تمكث في العلياء المنيعة، تجاري كبرياء الوطن، وتصانع كرامة الشعب، وتمهد المبادئ السامية، وتكافح في سبيله، غير آبهة لفحيح الصلال السامة، وغير ملتفتة لعواء الذئاب المسعورة.

×××

تلك عصامية انعم الله على بها، فاذا حدثت عنها فبنعمة الله احدث، فنحن انما نعيش في بلد، يتطلب الافصاح من خدمته عنما يكنون ويضمرون بعد ان اصبح الخائن يتبجح بخيانته، وراح الا ثم يفاخر باثامه، وبدت الرذيلة سافرة متبرجة اذن فالغيارى معذورون اذا حدثوا بما افاء الله عليهم من نعم وافرة وكرامة سابغة.

اما البؤس والشقاء اما الفقر والفاقة، اما ذلك كله فلابد منه في الحياة وهو خير من الثروة المسروقة والمال الحرام، والجاه الزائف، والمكانة الكاذبة، ثم ان الجوع خير من التدني الى التقاط الفتات المتساقط من مائدة الاستعمار، اذن "فاني غني" رغم الفقر المدفع، والفاقة الساحقة.

لست املك مالا، ولست املك نشبا وقد ترك لي ابي دارين اثنتين، ملك الاولى بكد يمينه، وورث الثانية عن ابيه فبعتهما وعشت بالثمن، فانا الان اسكن بالاجرة دارا صغيرة متهدمة، هي خير عندي من "القصور" التي اقامها السحت واشادتها الخيانة وسكن اليها الفجار.

وقد الفت العيش الشريف، من الخدمة الشريفة، في الصحافة الشريفة ولكن حكومة "الوضع الشاذ" عطلت جريدة "الناشئة" منذ سبع سنين ولما تزال معطلة، ثم عطلت جريدة "الزمان" سنتين اثنيتين كاملتين، ثم عطلت "المستقبل" و"اليقظة" و"التجدد" ثم عملت انها واقفة بالمرصاد، لاية صحيفة اصدرها مالم اجنح الى مهادئة السياسة الاستعمارية الغاشمة، او السكون عن مطاياها، من المحسوبين على هذه الديار، وهم الد الخصوم.

والوزارات المتتابعة في هذه البلاد، انما تضافرت على تعطيل الصحف التي اصدرتها بعد ان جربت وسائل الاغراء، وبسطت لي كفها، بما عليه من كد الفلاح، وتعب العامل، لاهادئها فقد، فخابت في اساليبها المغرية، واني في هذا الموطن ولهذه المناسبة اتحدى الوزارات ، الوزارة تلو الوزارة، والوزير بعد الوزير، وافخر بهذا التحدي ما دمت اعيش بين اناسي، يتعبدون المال ويهملون الكرامة وهذا نوري باشا السعيد الوزير الدائم في الوزارات المتتالية، ورئيس الوزارة الان، كان يلوح لي (بالنيابة) اذا هادنت وزارته فكنت الوح له بها عن طريق الشعب اذا جاءت، ولما عطلت صحفي الواحدة بعد الاخرى، ولما سدوا في وجهي سبل الارتزاق النبيل، ولما لم يبق في يدي من اوراق الحياة، الا ورقة واحدة، هي (ورقة التوظيف) سألتها لامسح بها جبين الطفل المعصوم ودمعة الصبية البريئة، والزوجة المخلصة الصبور.

لايكفي الانسان لان يكون غنيا، صاحب مال وعقار، او وزيرا يتمتع بالقلب الفخامة والمعالي، وانما ينبغي له ان يضم الى الثروة والالقاب، نفسا ابيه ورأيا فاضلا، وخلقا شريفا، لاينحط الى المساوئ الساقطة، ولا يتخبط في البؤر الآسنة.

ان اوكار المجد انما وجدت لتحتضن، تسور البؤس، وافراخ الفقر، وان اعواد الكرامة الثابتة في حقل الشمم، لا تحصد بمناجل الصنائع السفل، ولا تشذب بالات الانذال الاخسة، وان صوت الحق لن يتبدد في الهواء.

اما اللهفة الاليمة، فتعود في قرارة النفس، سخطا متململا، والسخط يحفز الحقد، والحقد يثير الشر، ويدفع الى الانتقام، ومسفوح الدم ، خير من مسفوح ماء الوجه.

×××

لقد توظفت في هذه البلاد، ولست قائلا بالابتعاد عن التوظيف، وانما انا من القائلين، باسناد الوظائف الى الخاص من ابناء البلاد وانقاذ – الدواوين الحكومية من عناصر الدخلاء، واشخاص السوء.

وما كانت، وظيفتي، ذات رأي مسموع، في ادارة البلاد وسياسة الشعب وانما هي وظيفة كتابية، ضئيلة الراتب، كثيرة العناء، وقد فضلتها على غيرها من الوظائف التي عرضت على لئلا احشر وتلك الضالة الحقيرة، التي لوحوا لها بالكرسي الناعم، والراتب الضخم، فهرعت اليها، غير ملتفتة الى ايمان الشرف، واعلان الملأ بالوطنية الصارخة، والتصريحات الخطيرة.

وما توظفت، لاني هائم بالتوظيف، او مطمئن الى العيش من راتبه وانما توظفت بعد ان استحكمت حلقات الشفاء، وسد الظالمون في وجهي ابواب الحياة، فتأملت ملياً، فرأيت النجاة في طريقين اثنين، الاول يوصل الى الخطة وسقوط الاخلاق وامتهان الضحايا المقدسة، والمبادئ السامية ذلك هو طريق الصحافة المداجية، والكتابة المنافقة، وانى احتقر سالكيه، واستهتر بالداعين اليه، اما الطريق الثاني، فانه على خموله وكثرة اتعابه اضمن للسلامة، وادعى الى الراحة، هذا هو طريق التوظيف، الذي اخترته مكرها، وسلكته مضطراً وقد سلكته لارضي به بعض الواجب الذي قضت على به الاقدار الساحقة، واني صابر غير جزع مما صرت اليه، وغير ملام عليه من العصبة الطيبة، والملأ الصالح.

×××

اما ان يعمد الانذال وسماسرة الوزارة الحاضرة، فيتخذوا من وظيفتي هذه وسيلة للتنديد والمبادئ الوطنية، او انهم يحاولون ان يتخذوا من وظيفتي وسيلة لافهام السذج باني اصبحت منهم، واتسمت بالعار الذي وسمتهم به الحوادث المتتالية، والايام المتتابعة، فذلك مالايستطيعه الانذال والسماسرة ولن يستطيعه سادة الانذال وسادة السماسرة، واي سيد في هذه البلاد مهما كانت شخصيته ومهما كانت مكانته، ومهما تكن صفته، وان قلامة من ظفر في اصبع من قدمي، لاضن بها ان تكون تاجا لتلك العصبة الضئيلة في نفسها واخلاقها وشرفها.

والوظيفة التي يستطيع الاخسة ان يوسوسوا بها حولي، من الواجب طرحها ونقض يدي منها ، فانا اقدم اليكم هذه الاستقالة، وارجوا ابلاغها الى وزير الداخلية، ليطلع عليها، وليعلم منها ان صنائعه، وخدمة رغباته لايستطيعون مس الكرامة، اذا تغلغلت في اعماق النفس الابية الجبارة.

وسوف اجنح الى العزلة البائسة، زاهدا في الحياة، وسأترك هذه الحياة كريما خالدا!.

قد الفت العيش الشريف، من الخدمة الشريفة، في الصحافة الشريفة ولكن حكومة "الوضع الشاذ" عطلت جريدة "الناشئة" منذ سبع سنين ولما تزال معطلة، ثم عطلت جريدة "الزمان" سنتين اثنيتين كاملتين، ثم عطلت "المستقبل" و"اليقظة" و"التجدد" ثم عملت انها واقفة بالمرصاد، لاية صحيفة اصدرها مالم اجنح الى مهادئة السياسة الاستعمارية الغاشمة، او السكون عن مطاياها، من المحسوبين على هذه الديار، وهم الد الخصوم. والوزارات المتتابعة في هذه البلاد، انما تضافرت على تعطيل الصحف التي اصدرتها بعد ان جربت وسائل الاغراء، وبسطت لي كفها،

عن كتاب (ابراهيم صالح شكر)
للاستاذ عبد الحميد الرشودي

شخصيات بغدادية معاصرة

خليل القيسي .. 80 عاماً قضاها في مقاهي بغداد

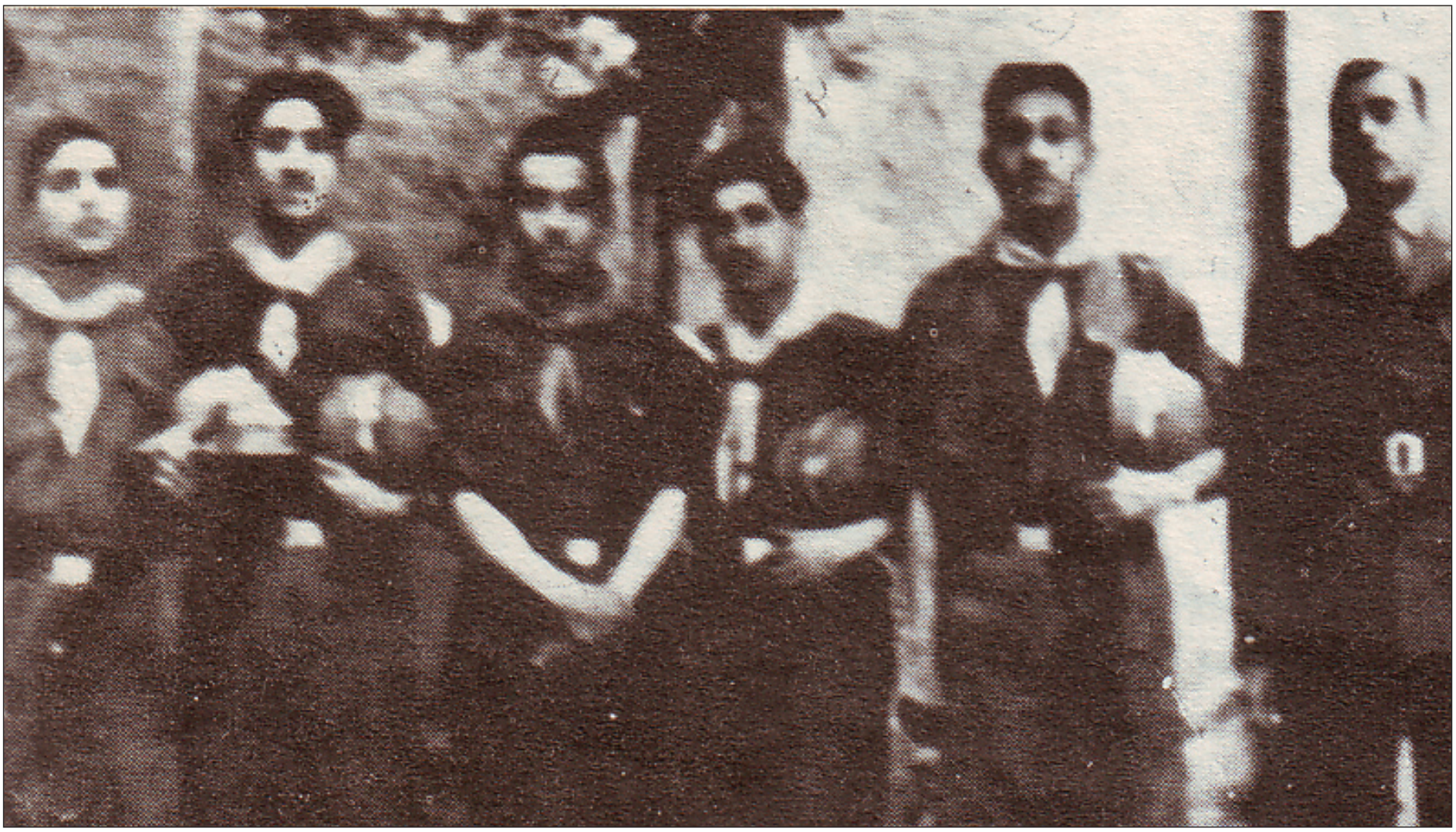

خليل القيسي مع مجموعة من الفتوة

* حكايات طريفة عن (السفربر) والحرب العالمية الاولى

* في عام 1948 .. جمع التبرعات للمحاربين في فلسطين

* القيسي القهواتي: لاعب ومدرب لكرة القدم

كتابة: نجم عبد ناصر

حدثني زميل لي حين كنا نتحدث عن خليل ابراهيم القيسي: سنجد في هذا النسيج اناقة الشباب، وفتوة الصبيان – فهو ما زال رغم بلوغه التسعين من العمر من اشد المهتمين بهندامه، والنظارات الطبية لاتفارق عينيه في اغلب الاحيان، عدا هذا فهو لديه طقوسه الخاصة التي يعيش معها وبها كل يوم.

اللقاء:

استقبلني في نفس المقهى التي كان يعمل بها في الموعد المحدد بطول قامته ورشاقتها وزيه البغدادي الاصيل حيث.. "الجراوية العصفوري.. وخفة ظله الذي يعرف فيه الاصدقاء مع طلاقة لسانه وحلاوته.

شيخ من شيوخ المقاهي في بغداد لم اجد فيه الا واحدا من جيل ظهر في اوائل هذا القرن، يشيد عالم المقاهي في بلد الرشيد ويعطي حرفة هذا العالم لتلاميذه من بعده، الاحفاد الذين ولدوا طوال اكثر من سبعين سنة والذين سيولدون على امتداد السنين القادمة.

انه من ذلك الجيل البعيد الذي دخل مغامرة الحياة والعمل في الوقت الذي لم تكن تغني فيه كلمة العمل شيئا ليس كما في جيلنا اليوم.. جيل الثورة العمل واجب.. العمل شرف..

نحاول غير هذا اللقاء اختراق حواجز ذاكرته المليئة لنفتش عن الزمن الذي نحقق فيه انهيار الدولة العثمانية.. وقيام الثورة العشرينية ضد الاحتلال البريطاني، والزمن في قطرنا قبل بداية القرن.. الزمن الذي شهد كثيرا من الاحداث والحكايات والمواقف العديدة التي مر بها مجتمع مدينة بغداد..

الحرب الاولى.. كانت البداية:

يقول خليل القيسي اقدم "قهواتي" في بغداد ترك مهنته قبل فترة وجيزة عن بدايات عمله: انطلقت البداية في بغداد من بدء الحرب العالمية الاولى كنت ذلك الوقت يافعا قويا لم يعرف الشيب طريقه الى رأسي وتجاعيد السنين لم تغؤ وجهي بعد.. كنت عامل "تكمجي" لدى "اسطة علوان" رحمه الله في محلة "قنبر علي" وكان والدي اسير حرب عند (الانكليز) وبعد فترة قصيرة من الزمن جاء (السفربر) ويعني بالتركية (الخدمة العسكرية) ذهب الجميع الا انا حيث كنت صغيرا لم اتجاوز العاشرة من عمري و"اسطة علوان" "استاذي" كان واحدا من الجموع الذين ذهبوا الى "السفربر" وبقيت فريدا وحيدا لم يبق لي سوى شلتي الصغار حيث اتفقنا ان نعمل كي نعيش وفعلا بدئنا العمل "كولين" تعني في التركية "عمال طين" ومرت فترة على هذا المنوال الى ان سقطت بغداد بيد المحتلين الانكليز عام ١٩١٧.

سألته عن ولادتـــه.. وفي اي محلة نشأ وترعرع؟

في الثالث من حزيران ١٨٩٠ في مدينة بغداد محلة "بني سعيد" كانت ولادتي.. ولما كان والدي (ابراهيم خليل) في الجيش العثماني برتبة رئيس عرفاء، فقد شد رحاله وذهب لمحاربة الانكليز في الجبهة العراقية، هذا كان قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى، وقد وقع اسيرا بيد القوات البريطانية التي ارسلته الى معسكر الاعتقال للجنود الاتراك والالمان سواء في مصر والهند وغيرها، وعند انتهاء الحرب اطلق سراحه وعاد الى بغداد لمزاولة عمله.

استقبلني في نفس المقهى التي كان يعمل بها في الموعد المحدد بطول قامته ورشاقتها وزيه البغدادي الاصيل حيث.. "الجراوية العصفوري.. وخفة ظله الذي يعرف فيه الاصدقاء مع طلاقة لسانه وحلاوته.

شيخ من شيوخ المقاهي في بغداد لم اجد فيه الا واحدا من جيل ظهر في اوائل هذا القرن، يشيد عالم المقاهي في بلد الرشيد ويعطي حرفة هذا العالم لتلاميذه من بعده، الاحفاد الذين ولدوا طوال اكثر من سبعين سنة والذين سيولدون على امتداد السنين القادمة.

مقال نادر لصبيحة الشيخ احمد

صبيحة الشيخ داود

عندما طلب مني ان اكتب لمجلتكم الزاهرة كلمة كان همي الاول ان اتناول موضوع التربية والتعليم ونظام المرشدات الخ من المواضيع العلمية البحتة ولكن لما تاكدت ان الغاية هي لم تكن كتابة بحث مدرسي وانما القصد من كتابتي اشراك عنصر المرأة في المجلة وتحريرها ولهذا رأيت ان اتناول في مقالي الاول موقف المرأة ونهضتها في البلاد.

واني استميح القارئ العراقي عذرا اذا قلت ان هذا البحث من الامور التي بث فيها "الزمن العتيد" واصبحت قضية المرأة ومناقشتها قضية مهمة ومن المسائل التي اقرها التطور واستقرت على احترام منزلة المراة وحفظ حقوقها المشروعة. الا ان ويا للاسف نجد في بلاد الشرق وخاصة في بلادنا قضية المرأة لا تزال من القضايا التي في بدر حركتها وفي مقدمة نموها كما ان العناصر المنورة في البلاد تحجم الاحجام كله عن طرق باب هذا الموضوع ومعالجته بالحرية اللازمة لمعالجة القضايا الاجتماعية الخطيرة.

كان نصيب هذه المسألة الهامة الاهمال فمن حق المرأة المثقفة المعتزة بحصانة العلم الصحيح وما بث في قلبها من شرف وطهارة ان تعالج هي قضيتها وان تعمل على اعلاء شأن بنات جنسها منزلتهن وصيانة كرامتهن.

لا انكر على القارئ ان بوادر نهضة جارفة اخذت تسود وسط المرأة في البلاد وان المراة اخذت تحرر من نير الاستعباد بخطوات واسعة ولكن النهضات يحب ان يسندها عمل مستمر وعناية خاصة وهذه الغاية مفقودة ويا للاسف في بلادنا فاننا نجد في جميع بلاد الشرق والغرب جمعيات نسائية غايتها تهذيب الفتاة تهذيبا صحيحا والعمل على حفظ حقوق المرأة وتاييدها وهذه الجمعيات تبذل جهودا جبارة في هذا السبيل ولكني وللاسف ملئ جراحنا ان بلادنا خلو من مثل هذه المؤسسات النافعة واذا استمر الحال وسارت نهضة المرأة على غير اطراد ومن غير يد صالحة تراعيها فقد تسير في طريق غير صالح ولا يأتلف مع عنعناتنا العربية والاسلامية اذ قد يغمر وسط المراة سبل الخلاعة الاوربية والتطورات المضرة التي تطورت فيها حالة المرأة في بعض بلاد الله من بلاد الافرنجية.

ان تهذيب المرأة العربية يجب ان يستند من حيث التعليم والثقافة على اساس العلوم العصرية والفنون الحديثة ويجب ان تسود بقسط وافر منها على اختلاف فروعها ولكن من حيث الاخلاق ينبغي ان تتمسك كل التمسك بالفضائل العربية وما تفرضه من طهر وعفاف في النفس وفي العيش والاخلاق في العائلة اساس نجاح المجتمع وركن قديم من اركان السعادة.

ونشر مثل هذه المبادئ الشريفة وبث الثقافة بين المجتمع النسائي ثقافة موصدة هدفها العلم الصحيح والاخلاق الفاضلة ينبغي ان يكون من اول وجابات المرأة الراقية في البلاد وهذا لا يتم الا بتمام التأسيسات المفيدة من جمعيات نسائية عاملة الى اجتماعات علمية مفيدة الى توسيع مؤسسات المرشدات وزيادة عدد افراد فرقة المرشدات العراقية وتعميم مبادئها الفاضلة الخ من الامور الهامة وكان هذا البحث مستفيض ويحتاج الى عدة مقالات لتتمكن من معالجة الموضوع معالجة كافية .

عن (النهضة النسوية) 1931

مشوار العمر.. من هنا..

وعند سقوط بغداد اشتغلت لدى "علي افندي" رجل كبير السن من اهالي بغداد.. يتكلم الانكليزية بطلاقة فاستفدت منه الكثير مما اهلني للعمل في مخزن كبير جدا يدعى مخزن "الدرهم" الكائن في نفس محل شركة المخازن العراقية الحالي، في شارع الرشيد.

وبعد مقهى النقيب.. استأجرنا مقهى الشط التي كانت تعود الى بيت السيد عواد الواقعة يوم ذاك في شارع الرشيد قرب بناية الكمرك سابقا ومنذ تلك الفترة الغابرة حيث بداية الحرب العالمية الاولى لحد هذه الايام حيث لا حول ولا قوة لي، لا نتحي عن شريكة سنوات حياتي الطوال.. عمل طالما احببته بكل جوارحي وحسي وامنيتي لو تدور مجلة الزمن الى الوراء الى ايام الشباب واستعيد عملي وذكرياتي ولكن...!!

ترى من هم رواد مقاهي ايام زمان؟

يقول في حديثه عن اشهر رواد المقاهي الذين لايزال مجتمعنا البغدادي يذكرهم.. وكيف كانت تحتفل المقهى وروادها في المناسبات الدينية والوطنية:

ان لي مع رجال الدولة والادباء، والشعراء العراقيين وبالاخص البغداديين روابط تعود الى قرن مضى من الزمان.. وهم يعبرون ركنا اساسيا من اركان رواد المقهى وهم يبادلونه كل الصداقة ويؤلفون صلتهم به عن طريق ارتياد المقهى.

"عمو خليل" رفض التحدث بالاسماء لا لكون ذاكرة الاعوام الطويلة لم نسعفه بل لكونه لا يريد ان ينسى احدا لكثرتهم.. جميع اهالي بغداد اصدقائي المعروفين وغير المعروفين هم روادي.. ويذكر منهم من المفكرين، والادباء مصطفى جواد، جمال الالوسي، ومن الفنانين حسن خيوكه، محمد القبانجي.. يوسف عمر، رشيد القندرجي واما عن احتفالات المقهى في المناسبات الدينية والوطنية فيقول:

احتفالات ايام زمان...

بغداد الامس ليس بغداد اليوم ببساطتها، عاداتها، تقاليدها، اسواقها، عماراتها ورغم تخلفها كنا نحتفل بطريقتنا ولنا مراسيمنا وطقوسنا الخاصة حيث نزين واجهة المقهى باليافطات والشعارات التي تحيط جميع اركان المقهى والاشرطة الملونة والفوانيس، والبالونات الملونة الجميلة ونوزع المشروبات "السيفون ابو الدعبلة" والشربت مجانا على جميع الرواد.

وفي رمضان المبارك حيث "القصة خون والمحيبس، ولعبة الصينية" "الزلابية"، والبقلاوة، وشعر البنات.

الملك... يزور ملك المقاهي

من الذكريات التي لا تزال عالقة في مخيلة التسعين هي زيارة الملك غازي الى ملك المقاهي هليل القيسي ليلا. حيث يتذكر ذلك فيذهب بنا بعيدا ليرجع بمخيلته الى الوراء يغيب قليلا بعيدا عن ضوضاء المقهى.. ورنين الاقداح... ونداءات الساقي ليعود ويقول: في احدى ليالي تموز الحارة والساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل حيث انشغالي وعمال المقهى بتنظيف المقهى لاعدادها الى اليوم الآخر وقفت سيارة كبيرة صفراء فارتجل منها الملك غازي وجلس قربي يحدثني عن امور الحياة وفجأة اكتض اهالي بغداد دون سبق اشارة لتحية الملك مما اداء لتركي والذهاب الى حيث اتى وسط جمهرة الاهالي..

شيخ المقاهي البغدادية.. في فلسط od n

١٩٤٨ دخل الجيش العراقي الحرب ضد الصهاينة بقيادتين موحدتين مع الجيش لاردني حيث كان في ذلك الوقت قصر القيادة الاردنية في عمان والقيادة العراقية في اربد حيث دخل "عمر علي" مع القوات العراقية الارض المحتلة وكانت القيادتان المشتركتان بقيادة الفريق نور الدين محمود في نابلس وعند وصول نبأ الانتصار الى بغداد بدخول الجيش العراقي الارض المحتلة عمت الفرحة بغداد ونحرت الذبائح وعلت الزغاريد وصفقت الايادي للنصر بالهتاف والاهازيج.

اسماعيل محمد.. المقهى آخر المطاف

القيسي.. زمالة العمل مع المقاهي

اجتمعت ونخبة من اصدقائي المقربين منهم "ابراهيم شندل" الملقب "ابراهيم اطفائية" وحاج سلوم في دار شفيق نوري المحامي" وقررنا ان نجمع التبرعات والهدايا الى الجيش العراقي هناك، وفعلا تم ذلك وذهبت انا بالتبرعات والهدايا الى الارض المحتلة حيث كان باستقبالي عمر علي وسط فرحة الانتصار.

اشهر المقاهي البغدادية:

كان بغداديو الجيل الماضي يجتمعون بعد صلاة العشاء في المقاهي للاستمتاع وقضاء الوقت، وكانت في بغداد مقاهي عديدة منها مقاهي (الجوبة والفضل وباب الشيخ والدهانة في جانب الرصافة) ومقاهي (الفحامة وسوق العجمي والست نفيسة والشيخ صندل في جانب الكرخ) ومن اشهر المقاهي وابعدها صيتا "كهوة حوري" الواقعة في اطراف محلة خان لاوند قرب الفضل وهي ما تزال تحافظ على طابعها البغدادي القديم، ومقهى (عزاوي).. ومقهى (الشط) لصاحبها حسن صفو، ومقهى (ابراهيم) في قنبر علي لوالدي.

مقارنة بين الامس واليوم:

تجري السنون وتكبر.. وتقف امام الكازينوهات الفارهة الى نفتخر اصحابها بتصميمها وديكوراتها وامامهم على الطاولة "مزهرية الزهور" و"ماكنة الكاش" وكلما اسرف اصحابها بعمل الديكورات الفخمة زادت اسعار الجلوس حتى غدت المفاخرة عند الجلاس بكونه كان جالسا "في الكازينو الفلانية" ويعيدنا هذا الى مقهى ايام زمان حيث يقول القيسي:

الشاي "بعانة" القهوة مجانا "الحامض" "عانة" واللبن "عانتين".

"سيفون ابو الدعبلة" "عانة" الخ...

ويعقب الحاج خليل عن سبب التغيير الذي طرء على جميع امور الحياة:

هو ارتفاع دخل الفرد العراقي، وارتفاع اسعار المواد الغذائية، والانجازات الباهضة، واجور العمال، وحتى رواد ايام زمان ليس روادها اليوم.

لاعب ومدرب:

الذي يعرف خليل القيسي لم يعرف سوى.. انه شيخ من شيوخ المقاهي البغدادية القديمة، اسهرته الكرة منذ نعموة اظفاره فعشقها كل العشق حتى بات يهرب من ابيه الى الازقة والشوارع المترية لممارستها، ويذهب به العشق للتدريب حيث يقول:

بدأت ادرب فريق دار المعلمين الابتدائية وكان من ضمن اعضاء الفريق العميد المتقاعد "اسماعيل محمد، حقي الشربتي.. رائد متقاعد، عبد الرحمن امين.. رائد طيار، نوري مروان.. ضابط، عبد الجبار ايوب.. مدير سجن سابق، عبد الوهاب عبدالرحمن.. عقيد شرطة، محمود خرطته .. والدكتور متي عقراوي مدير القسم الداخلي لدار المعلمين".

ويذكر الحاج من الفرق القوية التي لاعبوها وفازوا عليها "الكلية العسكرية التي كان من ضمن لاعبيها الملك غازي، والثانوية المركزية، و"سي سي" الانكليزي، وفريق الكمرك" كان هذا سنة ١٩٣١.

اخيرا:

الكثير من الاسئلة التي اعددناها لشيخ المقاهي البغدادية (خليل القيسي) اغفل عنها لتعلقها بمواقف شخصية يابى التحدث عنها.. ولذلك لكبر سنه وتدهور حالته الصحية.. وما ذكره من معلومات وذكريات قديمة عن المقاهي البغدادية يعتبر ملامح سريعة للمقهاي البغدادية الشعبية التي اشتهرت بها بغداد ايام زمان وما زالت المقهى تمثل فيها ركنا اساسيا من حياتها اليومية المعتادة.

م. امانة العاصمة 1979

نعمان الاعظمي والتجليد

معلومات تاريخية عن التجليد والمجلدين في بغداد

زين النقشبندي

اذ كان فن التجليد عند المسلمين قد بدا بسيطاً فانه تطور بصورة عجيبة حتى أصبح فناً دقيقاً و جمال، ويذكر أبن النديم أن الكتب كانت تجلد بالجلد المدبوغ في (النورة) فكان شديد الجفاف قبل أن يظهر دبغ الكوفة الذي كان لينا فأستعمل في التجليد وأعتبر البداية لتطور هذا الفن حتى ظهر التجليد والزخرفة والتزويق فيما بعد فوصل فن التجليد بذلك القمة وأصبح آية بالإبداع والجمال، وكان قد نال تجليد الكتب عناية خاصة من أهل العراق والأندلس حيث بذل الهواة من جامعي الكتب كما بذل الأمراء المسلمون جهوداً كبيرة كان نتيجتها تكوين الكثير من المكتبات الكبرى التي عرفت واشتهرت فيما بعد ، وأقدم النصوص التاريخية التي وصلتنا عن المجلدين ما ورد في كتاب الفهرست لأبن النديم، الذي صنفه سنة ٣٧٧هـ (بالعهد العباسي) ، فقد ذكر لنا أسماء عدد من المجلدين الذين عرفوا واشتهروا حينذاك منهم ابن أبي الحريش الذي كان يجلد في خزانة الحكمة التي أنشأها المأمون وشقة المعرض العجيفي، وأبو عيسى أبن شيران وغيرهم.

ومعلوم أن الأمة العربية لم تكن معنية بالكتابة والتدوين بل كانت تتداول أخبارها وأشعارها مشافهة معتمدة على مقدرتها الفذة في الحفظ والتأليف والارتجال، ولكن حيث بعث الرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص)، أتخذ عدداً من الكتاب يملي عليهم ما يوحي أليه فكانت حصيلة المدون متفاوتة من حيث نوع الخط والمادة التي تم التدوين عليه كالجلود والرقاق والخشب والأحجار العظام وبقي القسم الأكبر من القرآن الكريم محفوظاً في صدور الرواة، وبعد وفاة الرسول الأعظم (ص) وارتداد عدد من الذين أعلنوا إسلامهم حصلت مواجهة عظيمة بين المسلمين والمرتدين من أجل إعلاء كلمة الحق والدين، وقد فقد المسلمون عدداً كبيراً من الرواة وحفظة القرآن، فشعر الخليفة الأول أبو بكر الصديق بالأمر الجسيم وهنا برزت الحاجة إلى تدوين الكتاب الحكيم وحفظه فأوكلت مهمة تدوينه إلى زيد بن ثابت الذي قام بجمعه في صحائف موحدة بالحجم واللون والخط وهكذا ظهرت النسخة الأولى والوحيدة آنذاك من الكتاب الحكيم، ولم يكن قد سمي بعد أسوة بالكتب المقدسة وما لبث المسلمون أن ارتضوا تسميته (بالمصحف الشريف) لكونه جمع في صحائف على غرار ما رآه بعض الصحابة ممن هاجروا إلى الحبشة، أما تجليد القرآن الكريم فقد تم بواسطة استعمال الجلد الطبيعي ومن أجل الحفاظ على النسخة المجلدة تم حزمها بمجموعة من السيور الجلدية، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان تم استنساخ القرآن الكريم إلى خمسة نسخ منظمة ومرقمة ومن الرق أيضاً، كما النسخة الأولى، وتم توزيعها بين الولاة في الأصقاع المترامية للدولة الإسلامية، وبعد ذلك ظهرت نسخ أخرى مجلدة ومزينة بأروع وأبهى ما يمكن أن يكون عليه الفن تقديراً لمكانة هذا الكتاب لدى المسلمين.

بتقدم دولة الإسلام وأتساع رقعتها وزيادة خيرها وواراداتها انتقلت إلى حال من الترف الذي أدى بالملوك والأمراء والخلفاء اللاحقين إلى الاهتمام بالفنون كلها ومن بين ما اولعوا به التأليف والترجمة والكتابة والنسخ والخط وبالتالي التغليف، وقد وجدت أغلفة في غاية الجمال والغرابة بعضها من الورق السميك وبعضها من الصفيح الرقيق المطلي بالذهب أو غيره، وكانوا أيضاً يفتنون في وسائل حفظ الكتب حيث ابتكروا أغلفه يمكن أقفالها أو غلقها بواسطة أقفال ومفاتيح أو كلابات وسقاطات بأنواع مختلفة.

أما المواد المستعملة في التجليد فقد استفاد المسلمون من عطاء الطبيعة من خشب وجلد وطعموها بالعاج والقماش النفيس كالحرير بكل أنواعه وصفحوا الأغلفة بالذهب والفضة وطلوها بالمينا وغيرها من مواد الطلاء كما تفننوا بالنقش عليها سواء بالنقوش الهندسية أو الزخرفة الحيوانية أو النباتية من رسم الزهور والأوراق.

ويحسب للخليفة المنصور باني بغداد أنه قرب الخطاطين ومنهم الخطاط (علي بن محمد الوراق) الذي مال بخطه إلى الكتابة البغدادية الراقية في عصره مع إتقانه للرسم والتغليف والتجليد ومن المهم أن نذكر هنا المرأة البغدادية اشتغلت في هذا العصر بالتجليد والخط والزخرفة أمثال الكاتبة المعروفة (درة) التي التحقت ببلاط الخليفة ويمكن أن نقول إن التجليد أصبح فناً يلتقي في رحابه الرسم والخط والتذهيب.

صناعة الجلود في بغداد

من الصناعات المهمة التي أشتهر بها أهل العراق، صناعة الجلود التي دخلت في قائمة المواد التي يتم التجليد بها مبكراً جداً، وبين أهل العراق تميز أهل بغداد باختصاصهم في (الدارش) أي صبغ الجلد باللون الأسود و(اللكاء) أي صبغ الجلد (اللك) وهو مادة صمغية شفافة تعطي لمعاناً يشبه لمعان الوارنيش المعروف لنا حالياً، وينبأنا الجاحظ أن مادة اللك تستخرج من عصير شجر السماق وهكذا أصبح في العراق ثروة من الأغلفة النفيسة وخاصة وأن مدرسة التصوير العراقية التي أنشأها أمراء السلاجقة أنتجت عدداً من المخطوطات المصورة والمغلفة بأغلفة منقطعة النظير في الروعة والكمال كما أن العهد السلجوقي شهد أيضاً تفوق في صناعة الأغلفة الخاصة بالمصاحف الشريفة ولكن غزو وتدمير هولاكو الوحشي للعراق أدى إلى خسارة ثقافية لم تعوض أبداً فضلاً عن الخسارات الأخرى التي تحملتها بغداد، ويغيب التاريخ بعد ذلك في ظلام دامس ولكننا نلمح بين فترة وأخرى وميض ضوء ما يلبث أن يخفت، كما ذكر الأستاذ شهاب أحمد (للمزيد راجع كتاب تاريخ الطباعة في العراق (أربع أجزاء)، ١٩٧٥-١٩٨٧.) ، ويذكر أيضا: "أن مطبعة دار السلام أيام حكم الوالي داود باشا طبعت كتاباً مهماً عنوانه (دوحة الزوراء) ولأن الكتاب كشف فضائح الوزراء العثمانيين القي بالمطبعة والكتاب في نهر دجلة تشبهاً بفعلة هولاكو"، وينفرد الأستاذ شهاب أحمد بتقديم وصفاً شاملاً لهذا الكتاب مثل عدد صفحاته نوع الورق المستعمل ويصف تجليد "كتاب دوحة الوزراء، جلد بشكل خيط جبد، خيط رقيق، لصق ممتاز، ورق غلاف سميك، وجه كتان، ولا زالت ريازة الخيوط متشابكة في ما بين كراسات الكتاب وجلد الكعب وتتكون الكراسة الواحدة من ورقتين تلتصق بهما ورقتان أخريان، بمادة الصمغ أربط الواحدة بالأخرى وينفذ الخيط الابريسم من وسط الورقة الأولى على نفس الطريقة المعمول بها حالياً".

هذا الوصف الدقيق لعملية التجليد المنجزة عام ١٨٣٠ هي السائدة في قواعدها الآن، بين أوساط المجلدين الذين يمارسون عملهم في سوق السراي (سوق الجبقجية) سابقاً على امتداد تلك الحقب ابتداءً من اشتغال بعض طلبة العلم في مساجد بغداد بتجليد الكتب بادئ الأمر على طراز بدائي لا تعقيد فيه ثم انتقال المهنة منهم إلى صناع ماهرين عززوا صناعتهم بالذوق الفني، ويحصلون على التجليد المحكم الصنعة، بالمكابس الخشبية الضاغطة والمغارز والمخايط ويشدون أزر المجاميع الورقية المضغوطة بالقطع الجلدية والاصماغ ثم يجلدونها ويلصقون حواشيها فماذا تطور وماذا أستجد في عالم الصنعة هذه وماذا اختفى وما الذي بقي على حاله ومن هم رجال الصنعة هذه؟.

ومن خلال بحثنا عن التجليد ودراستنا لهذه المهنة العريقة التي هي من أهم وأعرق المهن التي كان يعمل بها ويمتهنها أي شخص في عصور عدة من تاريخ الحضارة الإسلامية الزاهرة، ومعلوم قديماً إن خزانة الكتب كان المسؤول عنها وعن إدارتها هو الوزير، إضافة إلى أن التجليد كان درساً وما زال لحد الآن لا يختلف عن أي درس من الدروس التي يحصل عليها طالب العلم في الجامعات والمدارس القديمة حاله حال أي درس من دروس الفقه والنحو والمنطق، والتجليد إضافة إلى الصفة الجمالية التي يعطيها للكتاب فهو أيضاً له أهمية عالية ومهمة في الحفاظ على الكتاب من التمزيق وضياع بعض صفحاته، وتفرق ملازمه وعدم تعرض الكتاب للتلف.

أما في أواخر العهد العثماني فقد تطورت أساليب التجليد من خلال التطور الذي أصاب الحياة بشكل عام، فقد تطورت المواد وكذلك الأدوات المستخدمة في التجليد، مثل مثاقب، مقصات، مكابس، تذهيب حراري وغيرها.

التجليد بداية دخول الأعظمي عالم الكتاب

ذكر لنا ابنه المرحوم سلمان الأعظمي إن والده المرحوم نعمان كان من أمهر المجلدين، وكان قد فتح محل للتجليد وبيع الكتب في سوق السراي، وقد تدرب وتعلم على يديه وأخذ الصنعة منه العديد من المجلدين، وقد استمر نعمان الأعظمي الى آخر حياته يمارس مهنة التجليد إضافة الى نشر وبيع وتوزيع الكتب، لأنه كان يرى أن التجليد عملية ملازمة للكتاب فهي مهنة تعطي الكتاب الجمال والرونق والمتانة، لإضافة ما للمجلدين من صلة كبيرة بالكتاب والمكتبات والقراء ومنهم النخبة المثقفة وما زالت هذه الصلة موجودة، وفي مقابلة مع السيد أمين عباس النعيمي (مقابلة معه في شارع المتنبي بتاريخ ١٠/١٠/١٩٩٦) الشاهد الأخير على

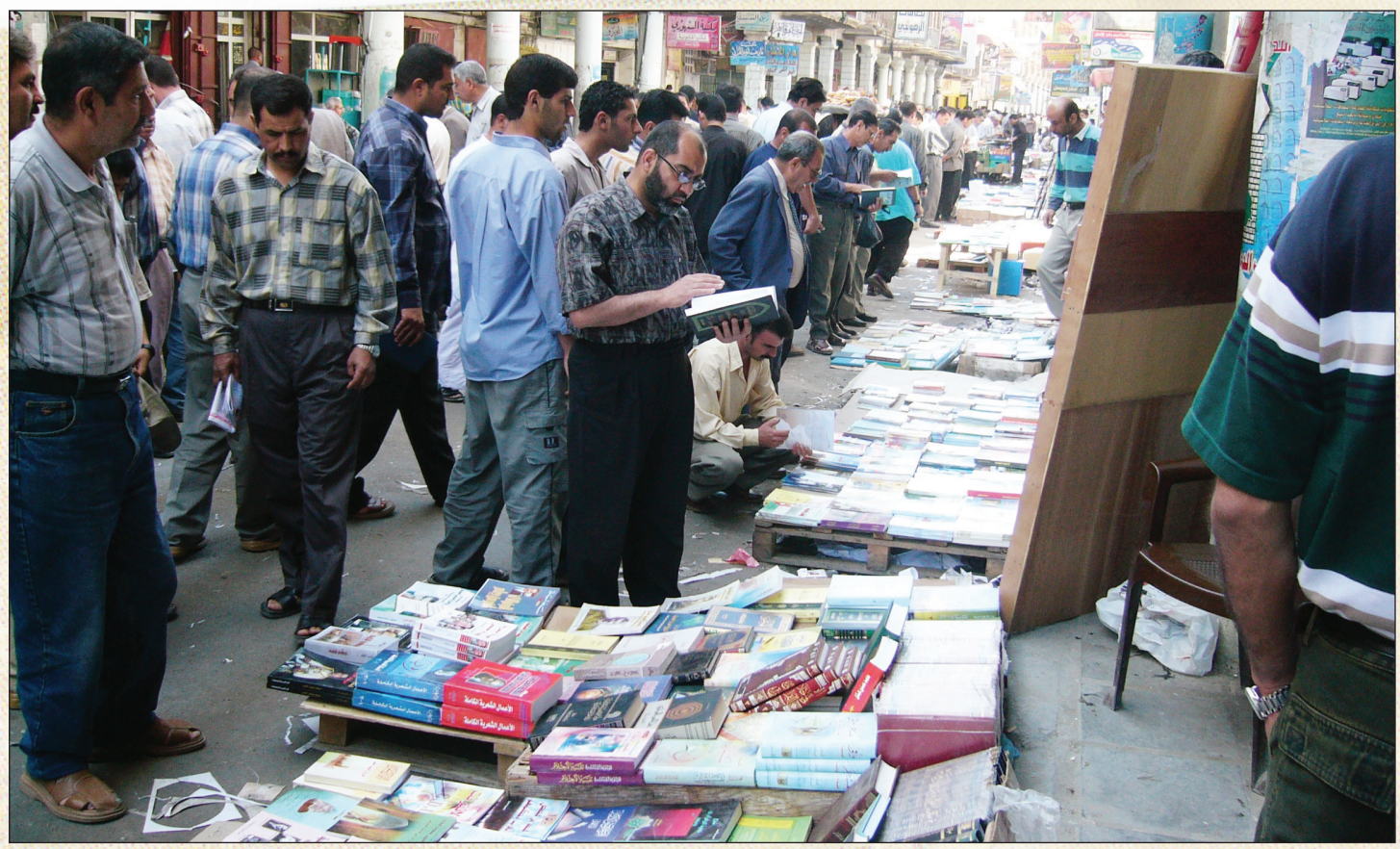

تأسيس سوق السراي الذي يتذكر مسترسلاً ذكريات كثيرة منها أنه تعلم التجليد أولاً على يد الأسطة وهيب الذي كان يعمل بدائرة البنك، ومن خلال احتكاكه مع المجلدين الانكليز الذين كانوا يعملون حينذاك في العراق تعرف على أساليب أخرى، ومن ثم عمل مع محمد اسماعيل الشيخلي في الفترة التي كان يعمل عنده عامل مصري يدعى (محمد) وقد اشتهر محمد المصري وتعلم منه التجليد الفني بصورة جيدة، أما أهم أنواع السجلات لتي كانت تجلد في حينها إضافة الى تجليد الكتب كما يذكر النعيمي فهي (سجل اضمامة، سجل يومية، سجل استاذ، سجل حسابات) ويذكر ايضاً ان ثمن القراءة الرشيدية المجلدة بـ(٣٠ فلس) وثمن هدية المصحف المجلد بـ(نصف ربية) ومما يتذكره ايضاً السيد أمين الذي هو أكبر المجلدين الباقين على قيد الحياة (متعه الله بالصحة والعافية) انه كان يشاهد الأستاذ الزهاوي وهو يركب مطيته ويحضر الى محل نعمان الأعظمي في سوق السراي حيث كان آنذاك طفل صغير (كان ذلك كما يتذكر عند سقوط بغداد سنة ١٩١٧م) وقد اتخذ المجلدون في بداية القرن الماضي من جامع الآصفية /الطابق الثاني (أزيل هذا الطابق عند اجراء الترميمات والإدامة على هذا الجامع البغدادي في الفترات اللاحقة) مقراً لهم حيث كان هذا الجامع مقراً للمولويين وهم من المجيدين والمجودين في الخط وفنونه وقد اشهر الكثير منهم بتجليد الكتب إضافة الى خط واستنساخ وتزويق وتذهيب الكتب، ويعدُّ نعمان الأعظمي من أوائل المجلدين الذين فتحوا محلاً في سوق السري لتجليد الكتب، وبعد أن تعلم منه أخوه الأسطة محمد صالح الأعظمي الصنعة فتح له محلاً في شارع المستشفى (المقصود بناية المحاكم الشرعية الواقعة في رأس سوق السراي من جهة القشلة أمام مقهى الشابندر حالياً) فقد اتخذت في بداية هذا القرن مستشفى إخلاء الجرحى العثمانيين لمدة أكثر من سنتين (مثل مستشفى الطوارئ حالياً)، كما اخبرنا بذلك الحاج محمد الخشالي صاحب مقهى الشابندر بتاريخ ٢٢ ايار ١٩٩٧ عندما سألناه عن أصل هذه التسمية التي أطلعنا عليها كتاب عليه ليبل يحمل اسم المجلد محمد صالح الأعظمي المجلد الذي يقع محله في هذا الشارع علماً انه كان في شارع الأكمكخانة عدد من الاطباء الذين يجرون العمليات الجراحية منهم الدكتور صائب شوكت والدكتور ماكس والدكتور فائق سليمان كل في عيادته، وقد يرقد المريض لمدة ثلاثة أيام في العيادة علماً ان أسرّة هذه العيادة كانت قليلة وبالتالي لا نستطيع ان نطلق على أي منها اسم مستشفى لكننا نستطيع ان نطلق على مستشفى المحاكم اسم مستشفى فهي المقصود كما نعتقد، والمبنى سابقاً يشغله معهد صدام لدراسة القرآن والسنة النبوية الشريفة) قرب الأكمكخانة نمرة ٦هـ- ٢٣ (كما هو مطبوع على الليبل المثبت على عدد من الكتب مجلدة في حينه منها كتاب فذلكة الطب بقلم د.سامي شوكت ١٩٢٦، الذي توجد نسخة منه في خزانة كتابنا).

عليه فقد عد نعمان الاعظمي وشقيقة محمد صالح الاعظمي ومحمد إسماعيل الشيخلي المجلد البغدادي الشهير والاسطة توفيق الشيخلي صاحب تجليد الملك الفني من اقدم المجلدين وان أغلب المجلدين حالياً هم من الذين تعلموا الصنعة منه أو من الذين عملوا معه.

ومن ابرز المجلدين حالياً هو الحاج محمود الطائي صاحب تجليد الأهرام في شارع المتنبي فهو تقريباً الذي ما زال يجلد بنفس الطريقة التي تعلمها من المعلم الذي على يديه الاسطة توفيق الشيخلي صاحب التجليد الفني الملوكي (أو الملك) الذي كان يقوم بتجليد الكتب لملك العراق (ملك غازي والملك فيصل الثاني)، أضافه إلى مصطفى مهدي جياد صاحب تجليد الجزائر مع أخيه رحمان وأبنائهما، وكذلك محي السامرائي صاحب تجليد السامرائي وعبود الفلوجي صاحب تجليد العصري وموسى غازي حسن صاحب (تجليد الهدى)، وخلف التميمي أبو محمد وصادق شكور الذي أعتزل التجليد في السنوات الأخيرة، والاسطة عبد الرحمن عيدان عبد الله الحديثي صاحب تجليد الضحى الذي تعلم التجليد على يد صادق شكور، إضافة إلى هوبي الاعظمي (توفي قبل سنوات) أحد أقرباء شيخ المجلدين في بداية هذا القرن نعمان الاعظمي.

وأقدم المجلدين الذين ما زالوا بيننا السيد أمين عباس النعيمي (وقد قدر الحاج محمد الخشالي عمر السيد أمين النعيمي أنه من مواليد ١٩٠٥م، وذكر أنه أبن السيد عباس جواد الذي تولى القضاء في كربلاء وعرف عنه الورع والتحفظ وقد كان السيد أمين يعمل مع أخوه السيد طاهر وهو أيضاً مجلد في سوق السراي، وهو أبن خالة مغني المقام المعروف محمد الكبنجي، والسيد طاهر كان من الشعراء الذين ينظمون الشعر، (لقاء مع الحاج محمد الخشالي صاحب مقهى الشابندر في شارع المتنبي بتاريخ ٢٩/٨/ ١٩٩٩).) ، فهو أقدم المجلدين حالياً من الذين كانوا يعملون في سوق السراي في مطلع القرن الماضي، وعند كتابتنا بحثنا المعنون نعمان الاعظمي شيخ مجلدين وكتبيي بغداد، التقينا به وذكر لنا أنه ولد في يوم (الكركوعة) وفي حينها علقنا على ما ذكر إن البغداديين قد عرف عنهم أنهم يؤرخون مناسباتهم بالسنوات التي يقع فيها حدث بارز مثل الفيضان، القحط، السفربر، والأمراض والأوبئة الفتاكة مثل الكوليرا والطاعون وغيرها من المناسبات، ولا ندري لحد الآن أي كركوعة كان يقصد صاحبنا المجلد، وذكر لنا أيضاً بعض ذكرياته، عندما كان يعمل في سوق السراي في العشرينات أو قبلها، مع أستاذه الاسطة وهيب، وأنه كان يشاهد شاعر العراق المعروف الزهاوي وهو يركب مطيته البيضاء التي كان يربطها في رأس سوق السراي، وهو يحضر يومياً إلى مكتبة نعمان الاعظمي في سوق السراي.

والمواد المستخدمة بالتجليد لم تتغير كثيراً، أبرزها المادة اللاصقة (الغراء)، وفي الماضي كان يستخدم الشريس الذي يحضر يدويا، أما الكارتون فكان قديماً يحضر من خلال جمع وإلصق عدة أوراق أو الأوراق التالفة وأحياناً كانت تستخدم خشبة عريضة بسمك صغير بنفس حجم الكارتون حالياً، أما بالنسبة للجلود، فهي من جلود الحيوانات المدبوغة وخاصة الأغنام وقد أستعيض عنها حالياً بالجلد الصناعي، وكذلك بمادة الشمع والورق والابروا، إضافة إلى الخيوط ولتجميل الكتاب ظهرت الحاجة إلى استخدام مواد التجميل وهي كثيرة ومتنوعة، فقد كان يقوم أحياناً المذهب أو المزوق للكتاب برسم رسوم نباتية أو حيوانية على غلاف الكتب بأستخدام مادة المينة للتذهيب والتزويق إضافة إلى ماء الذهب والألوان أو الأحبار المخلوطة ببعض الألوان وبرادة الفضة.

وهناك أنواع عديدة للتجليد معروفة منها تجليد الفني المصري وكعب وسط وتجليد فني عراقي ولف مدرسي، ويتم التمييز بين أنواع التجليد من خلال:-

إن التجليد الفني يتم خياطة ملزمة ملزمة، ويوضع له كعب على مؤخرة الكتاب وقد يذهب، في حين التجليد الغيّر فني، المدرسي لا يتم خياطته ملزمة ملزمة ولا يتم تذهيبه ولا عمل كعب له ولا يستخدم الجلد، وأي شخص يستطيع أن يميز بين أنواع التجليد بكل سهولة من خلال المواد المستخدمة والاختلاف الكبير بين كل نوع من أنواع التجليد، وتختلف كل طريقة بعدد مراحل التجليد، مثلاً التجليد الفني يمر بالمراحل التالية:-

١.يتم تفكيك الكتاب ورقة ورقة وملزمة ملزمة، وفي أثناء هذه المرحلة يتم لصق الشقوق وإدامة الحواشي، وتقويتها وتسمى هذه العملية بالتلخيص.

٢.عملية التثقيب للكتاب وخياطته.

٣.التدوير ويتم ذلك من خلال استخدام مطرقة خشبية، بعد أن يوضع الكتاب داخل المنكنة، والغاية من هذه العملية هي تهيئته حتى يتم تهيئة كعب الكتاب للتذهيب.

٤.تبطين الكتاب وهي وضع بطانة من الورق.

٥.يتم تغرية الكعب كاملاً مع تشميعه بالورق.

٦.قص الكارتون حسب حجم الكتاب.

٧.قص المشمع أو الجلد على القياس نفسه.

٨.عمل الكتب.

٩.عمل الغلاف كاملاً (كله).

١٠.يتم أخيراً لصق الكتاب من خلال تغرية البطانة ولصقها وكبسها، وبعدها يتم الانتهاء من تجليد الكتاب ليصبح كتاباً مجلد بشكل نهائي.

ولا يوجد هناك اختلاف كبير بين الحاضر والماضي، ولكننا نستطيع أن نقول أن المواد التي كانت تستخدم في الماضي، حالياً استخدمت مواد بديلة عنها، ففي الماضي مثلاً كان يستخدم الجلد الطبيعي للتجليد وبسبب ارتفاع سعره حالياً يتم استخدام مادة الشمع بدلاً عنه كذلك يستخدم الجلد الصناعي أو الإوبرا، قديماً كان يستخدم الشريز حالياً الغراء وغيره، قديماً كانت الخيوط من وبر الحيوانات، حالياً تستخدم الخيوط الصناعية، وكذلك تستخدم حالياً أدوات إنتاج حديثة مثل المقص الكهربائي للقص، والبرينة والدريل للتثقيب، والمكبس الكهربائي للتذهيب، ونستطيع أن نعرف كل مجلد خلال نتاج عمله، ومن خلال معرفة طريقة كل مجلد وأسلوب عمله والمواد التي يستخدمها في التجليد، وهناك ألوان معينة بالنسبة لتجليد الاطاريح الجامعية حالياً من الماجستير والدكتوراه فالاختصاصات الأدبية يتم استخدام اللون الأسود والاطاريح العلمية يتم استخدام اللون الأحمر، وهو سياق عمل المجلدين، إما بالنسبة للأشخاص الذين لهم مكتبات خاصة فقسم منهم يقوم بتجليد مكتبته إلى عدة ألوان مثلاً إن أحد الأشخاص الذين اعرفهم يقوم بتجليد كل كتبه الدينية باللون الأسود والتاريخية باللون الأحمر وكتب الأدب باللون الأخضر (تم نشر بعض هذه المعلومات في مجلة (ألف باء) العدد ١٦٣٦ الصادر في ٢/شباط/٢٠٠٠ ضمن التحقيق الخاص بالتجليد والمجلدين، وللمزيد راجع ما ذكرنا بصدد ذلك في اللقاء المشار إليه أعلاه .)

وقد أصبحت هذه المهنة في طريقها للانقراض لأسباب يعاني منها المجلدين وهي:

١.ارتفاع أسعار المواد الأولية كلها تقريباً مع فقدان بعضها.

٢.ارتفاع الإيجارات والضرائب.

٣.عدم وجود الأيدي الفنية العاملة، ونعني بذلك عدم وجود من له استعداد لتعلم هذه المهنة الإسلامية التراثية العريقة بسبب انخفاض عائداتها لذلك فنحن نوصي بدعم هؤلاء المجلدين من خلال: (توفير المواد الأولية لهم وتشجيعهم على الاستمرار في هذه المهنة من خلال إعطائهم بعض السماحات الضريبية بسبب عدم تناسب دخلهم مع مصاريف المهنة ومتطلبات الحياة اليومية، للعيش بكرامة، كذلك تدريس التجليد في بعض المدارس والخاصة معاهد الفنون الجميلة- الأقسام الخاصة بالرسم والخط والزخرفة- لما لفن التجليد من ترابط معها).

من اوراق بغداد المنسية

فؤاد طه الهاشمي
باحث في التاريخ البغدادي

هذه جملة من الخبار الملتقطة من جريدة "الزوراء" قد كنت قيدتها من بعض اعدادها، ولما فيها من التاريخية والطرافة، ولبعد العهد بها.

تناولت الزوراء شتى الشؤون البغدادية، وعالجت الكثير من امور البغداديين، وطرحت الشكاوى امام المسؤولين ونشرت ردود الجهات الرسمية، وفسحت صفحاتها لعشرات الاقلام، فضمت اعدادها ذهيرة ثمينة مازالت مطوية تنتظر من ينفض من اخبار الزمان، وفي السطور التالية جملة اخبار نزجيها بين يدي عشاق بغداد مشيرين الى رقم كل عد وتاريخه.

بداية انشاء سكة الكاري :

ذكرت "الزوراء" في عددها المرقم ١٣٨ في ٥ صفر ١٢٨٨ هـ - الثلاثاء ١٣ نيسان ١٢٨٧ رومية ان : الادوات والالات اللازمة لأجل تمديد سكة الحديد المسماة "ترام موای" والتي انشاؤها مقرر من الطرف الآخر من الجسر الى قصبة (الكاظمية). قد اوصى على جلبها من لوندره وورودها بهذه الايام منتظر، وان العمليات الحفرية والترابية العايدة للطريق المذكور قد وصلت كلها الى حد الكمال، فالان الادوات المذكورة قد وصلت بواسطة الوابور "تينوا" الى البصرة وبهذه الدفعة قد وصلت الى بغداد. وفي العدد ١٤٥ ذكرت الزوراء انه تم انجاز مقدار نصف الطريق المذكور، والمسافة التي بقيت منه هي في يد السرعة من الاعمال "وبناء على الهمة التي تراءت للعيون من شدة الاستعجال في اعمال هذا الطريق وعلى الغيرة التي ابداها مامورو الطريق عن تشمير ساعة الاقدام والاهتمام الى حصر اوقاتهم في ذلك فقد صار الحال دليلا على كماله بعد عدة شهور".

افتتاح الكاري:

ونشرت "الزوراء" في عددها المرقم ١٦١ الصادر يوم السبت ٢٦ ربيع الثاني ١٢٨٨ هـ - ٣ تموز ١٢٨٧ رومية خبر افتتاح (محجة الحديد) وذلك نهار الجمعة ٢ تموز، من قبل الوالي (رديف باشا) وقام مقام بغداد (اصف افندي) واركان الولاية ومامورها وقنسلوسات (قناصل) الدول المتحابة وبعض الوجوه والاهالي، وتوجهوا الى مركز الطريق، الواقع في جانب الكرخ، وحيث ان الطريق انفتح رسميا لحضرة الوالي وكافة الحاضرين، ركبوا العربات، وتوجهوا الى قصبة الكاظمية، الواقعة بمسافة ساعة عن بغداد، فالعربات المذكورة قطعت تلك المسافة في عشرين دقيقة، وعادت بمثلها، وفي ذلك اليوم بدأت العربات تنقل من احب الركوب مجانا الى المساء.

وثاني يوم باشروا ياخذون الاجرة على موجب التعرفة، وهو ان الذي يركب داخل العربة يعطي على كل سفرة اربعين بارة، والذي يركب فوق سطحها فانه يعطي عشرين بارة.

واشارت (الزوراء) في عددها ١٦٤ الى ان مدير الشركة هو صاحب الرفعة احمد عزت افندي الفاروقي ، الذي نشرت له تاريخا شعريا في واقعة (الاحساء) سنة ١٢٨٨ هـ.

اما اول زائر اجنبي، على الصعيد الرسمي، يركب الكاري فهو الشاهزادة عباس رئيس وزراء ايران ووظيفته تعرف بنائب السلطنة وقد زار الامام موسى الكاظم وحفيده الامام محمد الجواد عليهما السلام والرضوان.

اسالة الماء في بغداد:

نشرت الزوراء في عددها ٥٥٩ الصادر في ٢٧ رجب ١٢٩٢ هـ - ١٦ آب ١٢٩١ رومية ان الشخص المسمى (فردريق) الاوستريالي الاصل الذي كان قد جاء الى بغداد قبل هذا باربع سنين، وله مهارة كاملة بصنعة التجارة وفق الاعمال اختراع نوع ماكنة من خشب التوت، تدور ببغل او برذون واحد وتخرج ماء بقدر الماء الذي ويخرج بواسطة خمس واربعين بكرة، وجرب الماكنة المذكورة فشاهدها موافقة للمطلوب. وبناء على ذلك تداخل مع بعض اصحاب الاملاك بالمقارنة – في ان يصنع لهم مثل هذه الماكنة.

الجسر العتيق يباع بالمزاد

ونشرت الزوراء في عددها ٤٨٨ الصادر في ١٣ رمضان ١٢٩١ هـ - ١٢/ تشرين الاول ١٢٩٠ رومية خبرا عن حال الجسر الخشب الذي يربط بين جانبي بغداد: الكرخ والرصافة هذا بجملة: "لما كان الجسر العتيق ماله قابلية على مقابلة شدة فيضان الماء السنة الماضية، وانه عتيق ومتخلخل بالذات، كانوا قد استكروا له سفنا موقتة بالاخير، لأجل اكمال نواقصه واستحصال معاشات الطايفة المامورة بخدمته، فمن هذه الجهة ماوفت واردته بمصارفاته، بناء على ذلك تقرر بيعه، ولدى وضعه في يد المزاد بلغ ثمنه – ما عدا الزنجير – مقدار احدى وعشرين الف وصلاص مئة غرش ولما كان هذا الثمن بخسا، وجب اعلائه، حتى ان الذين يرغبون لشراية يراجعون محاسبة المركزية، ولأجل بيان الكيفية اقتضة اعلانها بواسطة جريدة الزوراء.

الجسر الجديد:

وفي العدد ١٩١٠ من الجريدة الصادر في ١١ ربيع الآخر / ١٣١٩ هـ - ١٤ تموز ١٣١٧ رومية ذكرت الجريدة – بلفظها – "ان مما يعلمه كل احد ان والي ولايتنا العالي صاحب الدولة (نامق باشا) لما رأى ان الجسر الممدود على نهر دجلة، بين جهتي الرصافة والكرخ، الذي هو الواسطة المستقلة لربط احداهما بالاخرى، ليست انشاءاته الاساسية الا عبارة عن خشب شجر الغرب، وانه لا يتحمل مقاومة تلاطم الامواج وتاثير الهواء، وانه كل سنة – اثناء القبضان – ينفتح مدة، وفي بعض الاحيان تغرق منه سفينة او سفينتان، لعدم مقاومتها شدة الجريان، فنذهب معه وتحدث لذلك صعوبات عظيمة، ومشكلات جسيمة في مرور الخلق وعبورهم، فتصرف عليه – كل سنة – مصارف زائدة وفيرة للترميم والتعمير (رأى) انه ينبغي ان ينشأ في محله جسر آخر متين رصين، مطابق للطراز المعماري الجديد، وان يكون بحالة متحملة نوع من العوارض، وان ينشأ في بعض نقاطه المناسبة مواقع لطيفة ظريفة تسر الخاطر وتبهج الناظر ، يتنزه بها الناس، ليس لها مثيل في هذه الاطراف وتبين ان انشاء هذا الجسر محسنات عظيمة منها معمورية جانب الكرخ الذي لا يشك احد في جيادة هو انه ونظافته وكثرة نفوسه، وانه ستكتسب مدينة دار السلام المحتوية على مائتي الف نفس بهاء ورونقا لذلك اخذ الاهالي – من الان – يصورون امامهم ما سيحصل من انشائه من الفوائد، وقد اخذ المسيو (موسيل) المهندس يعمل خريطة.

وعليه فالشركة ستكون ملتزمة في جلب ادواته ولوازمه من اوربه. ولذلك نومل قويا..

بعد سبة او ثمانية اشهر – اكماله".

اقول: ان هذا الحلم لم يتحقق الا يوم ١٥/ تموز / ١٩٣٩ الذي جرى افتتاحه من قبل الوصي عبد الاله وكان قد اطلق عليه اسم جسر الملك غازي كما ذكرت ذلك جريدة الاستقلال بعددها الصادر يوم ١٦ / تموز /١٩٣٩ ولكنها بعددها الصادر في ١٩ منه ذكرت ان مجلس امانة العاصمة في جلسته المنعقدة اخيراً قرر تسمية جسر بغداد الشمالي الثابت باسم (جسر المامون) وقد تقرر نقل الجسر الخشبي من بغداد ونصبه في سامراء وكانت وزارة المواصلات والاشغال مهتمة بتحقيق هذا القرار. وقد تطلب الامر مد الشارع فجرى افتتاح شارع الامين يوم الخميس الموافق مايس ١٩٤٠ من قبل الامير عبد الاله وهو اليوم يوافق عيد ميلاد فيصل الثاني الابن الوحيد للملك غازي رحمهما الله.

وكان للجسر العتيق مفتش بريطاني الجنسية يعرف بـ (اي. مكارثي) وقد توفى على اثر نوبة قلبية وجرى دفنه في المقبرة الانكليزية يوم ٨ تموز ١٩٣٩ مساء، ولم يشهد افتتاح الجسر الجديد.

انكسار الجسر:

بينت الزوراء في عددها ١٤٥ الصادر يوم السبت ٣٠ صفر ١٢٨٨ هـ انه بمناسبة تزايد المياه فوق العادة – في هذه السنة – فقد انكسر الجسر الذي يجمع طرفي الكرخ والرصافة، وان الماء كان قد سحبه الى اسفل، فلما كسبت المياه بعض التناقص في هذه الايام، وحيث ان وقت ارجاع الجسر المذكور الى محلة قد حان، فقد سمعنا ان الجسر، المذكور قد سحب بواسطة وابور (ديالة)، احد وابورات النهرية وربط في محله.

نفوس بغداد:

والعدد الذي ذكرنا واورد احصائية طريفة حول الحالة الاجتماعية لمدينة بغداد من ذلك انها تحتوي على مقدار (١٨٠٠٠) واهاليها وسكنتها يصل مقدارهم الى ١٥٠ الف نفس. والحنطة التي تطحن انحصرت في (الرحى) التي تدار بالبغال او باليد، حتى ان اجرة حطنية الحنطة تصل الى ثلث ثمن الحنطة، ومع ذلك لا تصير وفق المطلوب.

والآن جعلت الحكومة تتشبث في جلب (ماكنة) للطحين واجروا التجربة في اجراء بعض الاجزاء في ماكنة الارز الواقعة خارج البلدة بمسافة عشر دقائق وان الدقيق الذي تطحنه احد احجار تلك (الرحى) المذكورة هو احسن والطف وانعم من الدقيق الذي تطحنه خمس وعشرون رحى من رحوات اليد، ومن التي تدار بالبغال، اجرة الطحين هي ايضا اهون، وحسبما سمعنا انه قد تحرر الى (لوندرة) على جلب اربع ازواج من هذه الرحوات مع ماكنة الغزل والعبي التي كان قد اوصى على جلبها لأجل نسج الالبسة للاوردي الهمايوني، والتي هي قريبة الورود.

مستشفى الغرباء:

وذكرت الزوراء في عددها المرقم ٨١٦ في ١٦ ربيع الاخر ١٢٩٦ هـ ٢٧ اذار ١٢٩٥ رومية انه في عهد الوالي الاسبق المرحوم (مدحت باشا) قد انشئت مستشفى دار الغرباء، بالجانب الغربي من بغداد، وهو مستشفى منتظم ومحكم للغاية وذلك بمجرد الافكار الخيرية، ولكن كيفما كان لم يفتح الى الان منذ ذلك الوقت لحيلولة بعض الموانع والعوارض، واذا بناظر الداخلية قدري باشا في حين وجوده في بغداد احس بالاحتياج الذي في هذا السبيل فبذل التشبثات بطريق ترتيب المأمورين اللازمين وتعيينهم وتهيئة لوازماته ومقتضياته كالادوية والالات والادوات الطيبة واستحضارها فانى بها الى حيز الفعل، ومن اجل ذلك فتح المستشفى المذكور بالصورة الرسمية نهار اول امس، في حال كون موئل الولاية العاني حاضرا ومعه بعض الذوات الكرام.

وكانت الزوراء قد ذكرت في عددها ٢١٦ خر تمام بناء دار الشفاء وقد اقتضى ان يتحرر عليها الاية الشريفة "فيه شفاء للناس" مع تحرير التاريخ الذي ينطلق بهذا الاثر الخيري، وكان صاحب النجابة (موسى الجواهري زاده) قد اعطى ثلاث قطع من المرمر المحكوك اعانه للـ (الخستخانة) المذكورة، وهذا الرجل من سروات بغداد يسكن محلة (راس القرية) مجاورا لملك النواب اقبال الدولة وحمام حيدر، وداره مطلة على نهر دجلة وقد اجرها فترة من الزمن الى مسيو (وارنمان هرفر) من رعايا فرنسة.

شيخ الجراحين العراقيين

الدكتور خالد ناجي 50 سنة طباً

سعاد البياتي

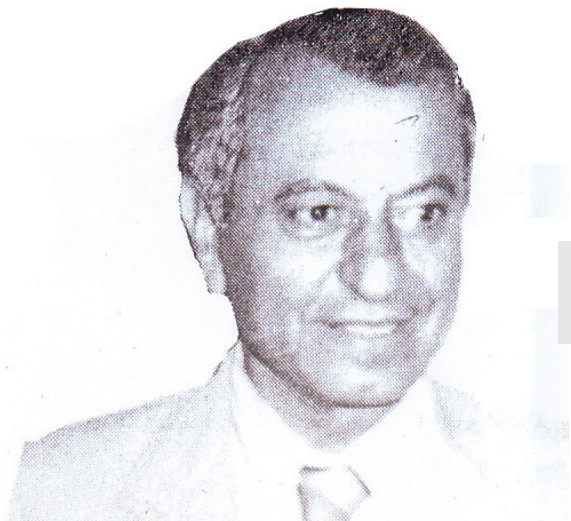

بين مشرطة الطبي الملتمع بالنجاحات الطبية وزهرة القرنفل التي تزين سترته ذكريات عمرها نصف قرن من العمل الطبي المختزن اخلاصه وصدقه تخيلاته الطبية وهو الجراح الكفء الذي تعلم الطب في بغداد واجرى عمليات جراحية اثبتت تفوقه الجراحي ورغم الصعوبات التي وضعت في طريقه وحالت دون تخصصه في انكلترة الا انه تلقى دعوة من الانكليز ليلقي محاضرة في جامعة اوكسفورد في موضوع طبي يجهله الانكليز انفسهم ومنذ ذلك اليوم صار شيخ الجراحين العراقيين د. خالد (٧٥ سنة) جواز مرور لطلبته عندما يؤدون امتحانات التخصص هناك!

دلالات التفوق

والسعادة لدى خالد احساس خاص يملأ اعماقه وذهنه عندما يصلالى سمعه ان طلبته الموفدين للدراسة في الخارج يحصلون على شهادة الاختصاص هناك دون ان يؤدوا الامتحان الاختباري المطلوب بعد ان يعلم اعضاء اللجنة المشرفة ان اولئك الموفدين قد تتلمذوا على يده يقول:

– تخرج على يدي العديد من الطبيبات والاطباء الكفوءين الذين اعتز بهم، ويسعدني ان جميع طلبتي الذين يسافرون الى لندن للحصول على شهادة الاختصاص لايؤدون الامتحان، منهم ذلك الذي سافر الى لندن وعمل فيها مدة سنة توجه بعدها لاداء الامتحان، فساله اعضاء اللجنة المختصة عن كيفية اجراء عملية الغدة الدرقية، فشرحها بدقة مستمدة من مشاهدته لي وانا ازيلها وازرعها في البطن، وما ان عرفوا اني كنت استاذه حتى وقعوا له شهادة الاختصاص ، وهناك طبيب آخر اسمه محمد خضير اخصائي في الكسور قال لي انه حصل على شهادة الاختصاص هناك دون امتحان بعد ان عرفت اللجنة انه تتلمذ على يدي.

حفلة ساهرة

بصمت د. خالد لحظات مستلة من الذاكرة الطبية لتعود به الى سنوات مضت بعد ان اتخمت بتفاصيل جرت في صالات العمليات عندما كان بريق مشرطه الجراحي يلتمع في عينيه مثلما يزهو في يده، ليلتمع ازاء تلك التفاصيل في اذهاننا سؤالنا.. لماذا اختار الطب؟

يجيء جوابه:

لقد قرب اخي اسماعيل وهو طبيب مهنة الطب الى قلبي سيما واني كنت اجد في بيتنا هيكلا عظيما واشياء طبية مثلما كنت اشارك اخي في الاطلاع على جثث الموتى في المستشفى الذي تدرب فيه ولم اكن اخشى رؤية الموتى بل اعد تشريحي جثثهم (حفلة ساهرة) واذكر ان اول مريض شاهدته في حياتي كان نحيلا وواهنا قصد المستشفى الملكي للعلاج، ولان الدكتور ناجي مراد المشرف على علاجه مجازا انذاك سمحت لنفسي ان اشخص حالته اذ رأيت النمل يجتمع على ادراه فقلت للاطباء الاخرين انه مصاب بالسكر.. واثبتت التحليلات التي اجريت بعد ذلك صحة تشخيصي مما جعل رئيس الاطباء يقول لي انذاك:

(قل لوالدتك ان تنثر لك).

وذلك الثراء الفكري

والثراء الفكري للدكتور خالد لم يقتصر في مجال التشخيص الطبي والعمليات الجراحية بل امتد الى عالم الابتكارات الطبية عبر ٤٠ الى ٥٠ بحثا طبيا سماها جميعا بـ (الخاليات) لما تختزنه من حصيلة عمل دقيق واكتشاف وجهد حتى ليشعر تجاهها بعاطفة الابوة التي تدفعه ليقول عنها:

ان تلك البحوث اعدها انجازا كبيرا، ولكن ارقاها خصص عن الاعصاب اذ جاد فيه ان اعصاب اليد والساق المبتورة لا تنمو فالعصب الوسطي الموجود في اليد لا يعود للنمو اذا ما قطع ٦٠٪ منه كما ان خياطة العصب الدقيق الموود داخل الشريات الوسطي تؤدي الى منع وصول الدم اليه مثلما تمنع نضوج ما يحيطه لذا من الضرورة عدم خياطته.

عالم غريب

يصمت الدكتور خالد برهة ليمسك خلالها بما تبقي من خيوط ذكريات تشع في قلبه ويتلذذ بالتحدث عنها اذ يقول:

اذكر لكم حادثة، هناك طبيبتان هما سهى الرسام واميرة شبر اعدهما الطبيبتين الاكثر مهارة، كانتا تذهبان ليلا الى غرفة التشريح وتقومان بتشريح الجثث، فتعلمنا الطب بشكل ممتاز واكتسبنا خبرة عالية في مجالهما وهما في سن صغيرة. ولاننا نتحدث عن المرأة لابد ان اذكر انها اصلب قواما من الرجل ذلك انها تعيش ٦ سنوات اضافية وتلد اولادا ذكورا اكثر مما تلد اناثا اذا ان لديها ٢٣ زوجا من الجينات (الكروموسمات XX) ولدى الرجل (XX) و (Y) هي نصف (X) من هنا تختلف المرأة عن الرجل اختلافا جوهريا من حيث الانسجة والمقاومة والتقبل.

× اوه.. انه عالم غريب..

– هكذا يعلق الدكتور خالد عندما نسأله عن تأثير المرأة عليه ثم يتابع:

– غرفتي في الكلية كانت مليئة دائما بالطالبات اللواتي لهن مطلق الحرية في السؤال والبحث وهن بمثابة بناتي واحبهن اكثر مما احب ولدي (شعلان)..

والبنات اللطيفات يجذبن الرجال لذلك فان الطالب عندما يجد طالبة ما ترتاد غرفتي لابد ان يقرأ ويدرس بدقة ويتنافس ليلفت انتباهها، وبذلك اعطيه فرصة للاطلاع والاكتساب مثلما امنحهم مجالا للمناقشة واجراء العمليات معي وغرفة العمليات تعج دائما بالطلبة للاطلاع على كيفية اجرائي العملية.. واذكر اني ذات مرة طلبت من احدى الطالبات اجراء عملية نيابة عني وعندما اخطأت في احدى خطواتها ضربت يدها ذلك ان دراسة الطب تتطلب ترك الخوف جانبا.

والفن ايضا

ومع ان الطب اختصاص علمي بحث الا انه لم يمنع الدكتور خالد من الاستمتاع بعالم الفن اذ كان الفنان محمد القبانجي اعز اصدقائه، وكان الاثنان يستلذان بالاستماع الى صوتي المرحوم ناظم الغزالي وزوجته سليمة مراد، وقد شهد زواجهما بعد ان اعلنت سليمة اسلامها وصار اسمها ماجدة وعندما توفي الغزالي شخصت وفاته بالسكتة القلبية، ومن اصدقائي الاخرين اذكره، سلمان فايق.

وبعد.. تعود انظارنا الى الزهرة التي تزين سترته والتي يتصاعد بين وريقاتها فضولنا الذي يدفعنا لمعرفة سرها. فيقول د. خالد:

حقيقة، انا مقتنع بالنظرية القائلة ان المشاهد يمل النظر اذا بقي اكثر من ١٧ دقيقة بنظر في شيء واحد لذا رغبت بتحفيز طلبتي على استيعاب محاضراتي من خلال لفت انتباههم لي فتزينت بالزهرة.. ومنذ ذلك الحين وهي لاتفارق اعلى سترتي.

م. الزراعة العراقية 1996

* شهدت زواج ناظم الغزالي والقبانجي من اعز اصدقائي
* حالت الظروف دون تخصصه في لندن فصار اسمه هناك علامة مرور لطلبته
* المرأة.. عالم غريب وطالباتي في الكلية كن وراء تفوق الطلاب عليهن!

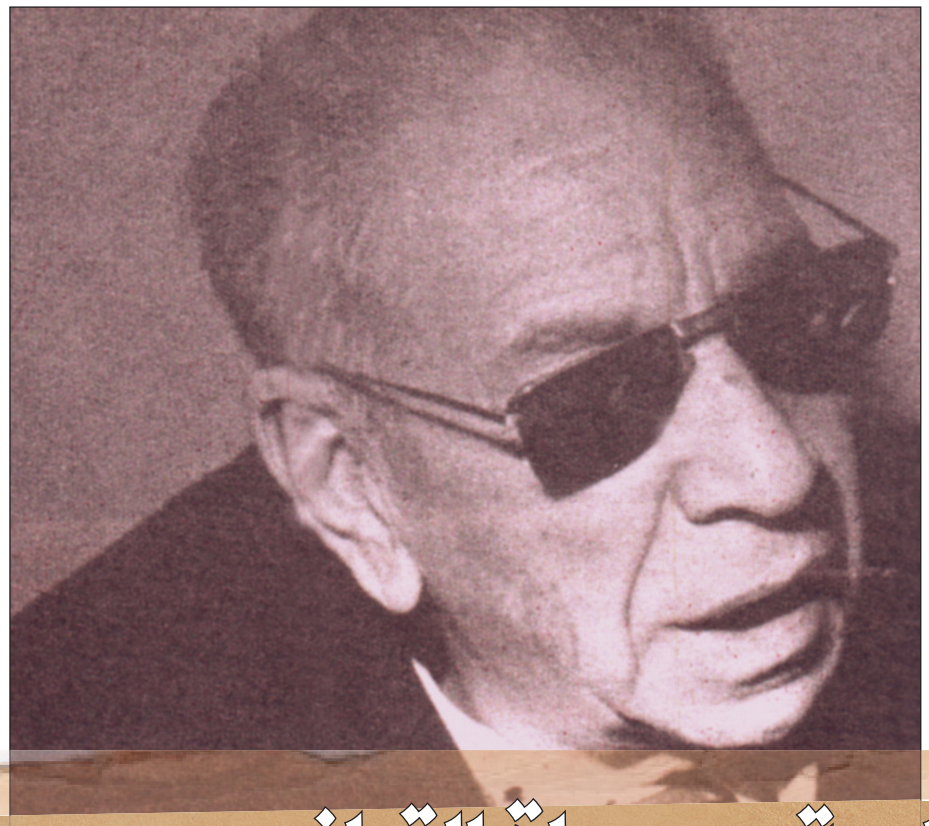

صفحات مطوية من حياة القبانجي

ثالث الافذاذ وأحد رواد المقام العراقي الأصيل

حسين الكرخي
باحث في التراث الشعبي

في الساعة الثامنة من مساء الأحد، الثاني من نيسان ١٩٨٩م، سكت قلب بلبل العراق الصداح، عن عمر اربى على التسعين عاما وقد جاء لقبه لأنه عمل في صدر شبابه قبانيا في (علوة) عمه عبد الجبار، والد الطبيب توفيق بعدها اشتغل في التجارة بائعا شاريا، ولاستقامته وصدقه وامانته، مهديا بالحديث الشريف (التاجر فاجر مالم يتفقه) اكتسب ثقة واحترام الناس. حدثني صديق له قال: انه كان يحكم بين التجار ويفصل في الخلافات التي تنشأ بينهم فلا يرد له حكما او وساطة.

وتنبه والده المرحوم عبد الرزاق (١٨٤٦ م – ١٩٣١م)، وهو من قراء المقام في المواليد النبوية ان في صوت ولده محمد، حلاوة و(فرخ البط عوام) كما يقولون اخذ يعلمه مبادئ هذا الفن، وما هي اسابيع وايام حتى اصبح لامعا، واخذ يتردد على مقهى (قدوري العيشة) في سوق الغزل، ملتقى قراء المقام من البغداديين فكان هذا بمثابة المشجع والموجه له، وبسرعة عجيبة بدر في سماء الفن، فطغى ضوء نبوغه على اضواء الاخرين من معاصريه، واستطاع ان ينهض بالمقام ويجدد فيه ويحببه الى قلوب الناس، فاصبحت اغانيه تجري على كل شفة ولسان حتى طبقت شهرته الافاق، بل تجاوزت حدود القطر الى البلدان العربية والاسلامية فكان في بواكير النصف الاول من القرن العشرين واحدا من الاعمدة السبعة في مجالات الادب والفن والشعر والصحافة والرياضة، جنبا الى جنب مع الرصافي والزهاوي والكرخي وحقي الشبلي ونوري ثابت (جنريوز) وعباس الديك، وتناوله بالشتاء كبار الشعراء والادباء والصحفيين ومنهم مثلا صديقه الكرخي – الذي لا يعجبه العجب – حيث كان من اشد المعجبين بفنه وشخصيته واذكر انه قال عنه – مرة – : انه واحد من ثلاثة افراد انجبتهم الموصل الحدباء (اسحق الموصلي وابراهيم الموصلي ومحمد الموصلي (القبانجي) فكانوا بحق الثالوث الخالد لفن الغناء العربي الاصيل.

وفي جريدة الحقائق البغدادية عام ١٩٢٥ نشر الكرخي قصيدة اخوانية تحت صورته، وبتصدير الجريدة الاتي: (محبي فن الغناء المندرس، صاحب المقامات الفريدة، والقصائد الرنانة محمد افندي الكبنجي، وقصيدة الكرخي احسن تعريف له) وهي تقع في ٢٧ بيتا اولها:

انظر رسم بلبلنا العراقي الشاب هو (محمد الكبنجي) الذكي الارباب ذكر فيها عشر مزايا بارزة من مزاياه، وهي بحسب ترتيب ورودها في القصيدة:

١- يحسن قراءة المقام. ٢- يحفظ الشعر العربي ولا يلحن فيه.، ٣- ثابت الجنان ومن نسل اطياب.، ٤- حسن المنظر، انيق الملبس.، ٥- طيب المعشر (ارباب) ٦- كساب وهاب ٧- وفي للاصحاب، ٨- لايفارق الكتاب، ٩- صادق مستقيم، ١٠- عالي جناب وفيالقصيدة ذكر لمشاهير قراء المقام، من امثال احمد الزيدان، وشلتاغ، وحجي حمد، وابو احميد، من الذين تفوق عليهم القبانجي/ برأي الكرخي:

(الكبنجي) انا اشهد عليهم فاق
بالصوت وشعر والمعرفة واداب
ومنها:
اما (حجي حمد) و(ابو احميد) اشهد
و(شلتاغ) و(ابن زيدانها احمد)
هو الاعلى واملى منهم (محمد
الكبنجي) قسم بالخالق الوهاب

ثم يقول فيه:

موسيقى، ملحن، مقتدر، عالم
بشر، ضاحك السن، منه الثغر باسم
هو المطرب، هو الشاعر، هو الناظم
كثرة من القصايد ما عليها حساب

وختمها بهذا البيت:

الا يا ايها (الكبنجي) من حاسد
لا تغتاظ، والتمام والجاحد
انت اليوم في هذا القطر واحد
ثاني من إلك، دعنا من الاذناب

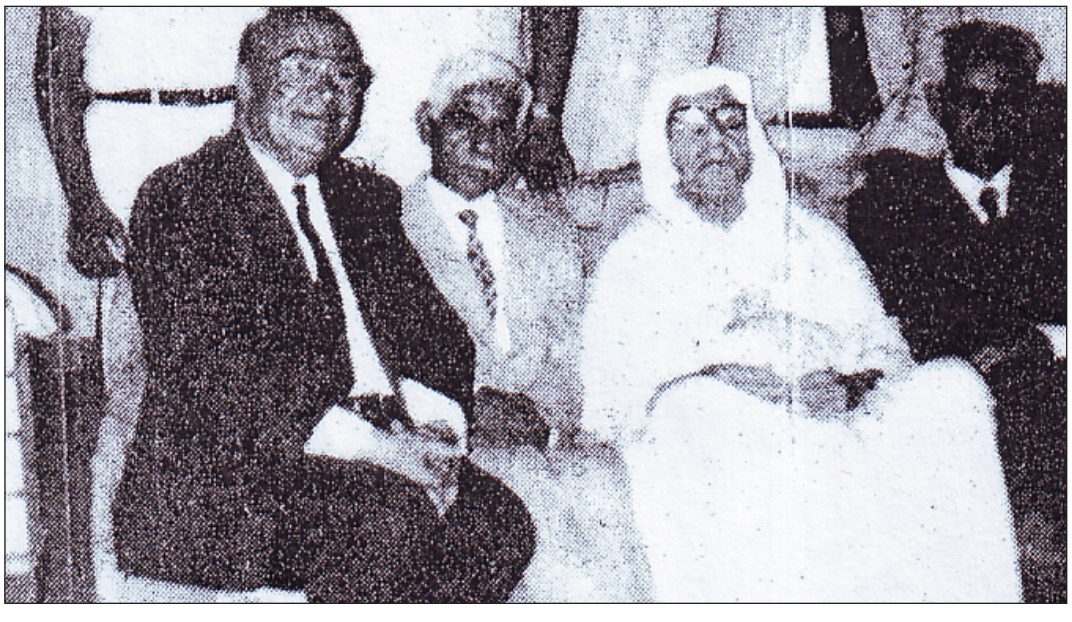

ايقظ النائم ونبه الغافل

وطبيعي ان اعجابا يصدر عن الكرخي، امر بالغ الاهمية، وتقويم ما بعده من تقويم لانه هو الاخر كان من محبي المقام العراقي، وانه حين تناول بعض المغنين المصريين كمحمد عبد الوهاب وام كلثوم بقصائد عديدة، فقد كان منطلقا من هذا الحب للمقام الذي لايرضى العراقيون عنه بديلا عهد ذاك.

وللشاعر الكرخي قصائد كثيرة في القبانجي موزعة على اجزاء دواوينه الاربعة المطبوعة وهناك قصائد اخرى ستضمها الاجزاء الستة التالية التي لم تر النور، عندها ستكتمل الصورة التي رسمها له شاعرنا المرهف.

ان مصر اذ تعتز بالسيد درويش، ولبنان اذ يفخر بـ عمر الزعني وامريكا اذ تباهي بمغنيها الشعبي بول روبن، وبقية الامم اذ تفخر بفنانيها الشعبيين فما علينا الا ان نعتز ونفتخر بامير الغناء العراقي محمد القبانجي لانه فنان مجدد، طور المقام ليلائم روح العصر، واختار افخم القصائد الحماسية وغناها في مختلف المناسبات الوطنية والقومية اضافة الى انه نظم الشعر الشعبي، فاجاد وابدع فيه وانه بهذا ايقظ النائم ونبه الغافل وشحذ الهمم والعزائم فاضاف الى عاشق فنه عددا آخر، لم يكن يتذوق المقام من قبل، واستحق، اسمه ان ينقش باحرف من الماس في سجل الخلود، جنبا الى جنب مشاهير الفن العالميين.

وصيته الاخيرة

وحيث ان صداقة الاباء والاجداد يرثها الابناء والاحفاد، فقد كنت صديقا له، اهاتفه وازوره وانس في مجلسه، وكان من رفعة خلقه انه يودعني الى الباب الخارجي، وفي عينيه دموع الحب والوفاء، وهو يقول:

– يا ابن اخي ! ان جدك كان والدي وسندي وعمي ومعلمي، مؤمنا بالله وباليوم الآخر وايه ذلك انه هيأ قبره مسبقا في جامعة بالحارثية، منتظرا بصبر وجلد امر الله الذي لا مرد له، وانه اوصى ان يحضر وفاته الاصدقاء والمحبون وان يشيعوه الى مرقده الاخير، فكان له ما اراد، وان كان التشييع ومجلس الفاجعة، كما لاحظنا – ليس بمستوى الفاجة، التي توقعنا ان تكون تظاهرة حاشدة يسير فيها الالاف من عارفي فضله ومحبي فنه، ففي ذمة الله يا ابا صبحي.

ج. الاتحاد 1989

الباذنجان

بين جميل والدرة والالوسي

سالم الالوسي
مؤرخ وكاتب عراقي

لو تصفحنا بعض المعاجم العربية لوجدنا لكلمة الباذنجان عدة اسماء ومعان منها ما ذكرة الدميري في حياة الحيوان ان الباذنجان ضرب من الطيور الجوارح يشبه الغراب او هو من فصيلة الغربان ويسمى ابو جرادة لانه ياكل الجراد.
واهل العراق يسمونه السمرمر والموصليون يسمونها لسمرمد بالدال المعجمة. اما اهل الشام فيطلقون عليه اسم البصير.

بيتنجان عراقي وفرنجي

ومن معاني الباذنجان انه الثمرة التي يكثر تناولها في فصل الصيف وهي من الاثمار الرخيصة نسبيا قياسا الى اسعار الفواكه والخضراوات الاخرى والعامة في العراق يسمونه (بيتنجان) والواحدة (بيتنجانة).
وهناك (البيتنجان الفرنجي) ويقصد به ثمرة الطماطة التي دخلت العراق لاول مرة قبل اكقر من مئة عام، والبغداديون هم الذين اطلقوا عليها (البيتنجان الفرنجي) لان شكلها كان غير مألوف وربما جاءت من بلاد الفرنج او لانهم علموا انها من الفصيلة الباذنجانية.
– وترافق الباذنجان قصص واساطير كثيرة يتحدث بها العوام فهم يزعمون ان دفن (بيتنجانة) في حفرة ذات تراب رطب يؤدي الى تولد مئات العقارب.

روابط اخوانية

وهناك بين الشاعر الراحل الكبير الاستاذ حافظ جميل (١٩٠٦ – ١٩٨٤) والاديب الصحفي الاستاذ خالد الدرة روابط اخوية صميمية وعلائق صداقة متينة وثقت بينهما وشائج الثقافة والادب، وبمناسبة اصدار الاستاذ الدرة مجلته (الوادي) التي كسبت شهرة فائقة في الاوساط الادبية والصحفية، اقام احد اصدقائه وليمة فاخرة حفلت باصناف الاكلات البغدادية كان الباذنجان في مقدمتها، وقد تجلى ذوق صاحب الدعوة مبالغة منه في تكريم الاستاذ الدرة ان يقدم عدة انواع من طبخات الباذنجان لمعرفته بان الاستاذ الدرة مولع بهذه الاصناف من اكلات الباذنجان.
وقد دعي الى هذه الوليمة الباذنجانية عدد من الادباء والشعراء وارباب القلم بتقدمهم الشاعر حافظ جميل الذي اعجب كثيرا بهذه الوليمة وبذوق صاحب الدعوة وقد تجلى هذا الاعجاب ينظمه قصيدة الباذنجان المنشورة في ديوانه (نبض الوجدان) الصادر ببغداد عام ١٩٥٧ . وكان مطلع القصيدة:
صدق كاحسن ماترى العينان
من قال انك غير (باذنجان).

الحدق والكهكم

وعلى المائدة وبعدها دارت الاحاديث شتى حول الباذنجان وفوائده ومضاره، واوصافه في كتب اللغة والادب، فمن اسمائه الحدق والكهكم وغيرهما من الاسماء، بعد ذلك انتقل الحديث الى المنافع والمضار والمتانية من اكل الباذنجان طريا او مطبوخا، وهنا انبرى الدكتور الراحل معمر خالد الشابندر الذي كان من الحاضرين قائلا (ان كتب

د. معمر خالد الشابندر

الطب القديم تصنف الباذنجان بانه رطب وبارد على عكس ما هو شائع بين الناس ان تناوله يؤدي الى تعكر المزاج واثارة المشكلات والخصومات والتصرفات غير المعقولة، وهو يرى ان اسباب ذلك تعود الى حر الصيف اللاهب لا الى الباذنجان!
وهنا اعترض الاستاذ عباس بغدادي، وهو من جماعة الزبانية التي اتخذت من ادارة مجلة الوادي مقرا لنشاطها

خالد الدرة

ومشاغباتها قال البغدادي جرت عادة البغدادين وانا واحد منهم انهم اذا ارادوا التعريض بشخص مهوس اذا تكلم بكلام غير معقول او يقوم بتصريفات شاذة خارجة عن المألوف فانهم يشيرون الى هذا الشخص بعبارة (اتركوه هذا وقت بيتنجان!!!) كتابة على انه يتعرض لمقدمات الجنون بسبب موسم (وقت) الباذنجان وهو فصل الصيف الحار

حافظ جميل

الملتهب الذي يؤثر على الاعصاب ويشير نزعات الغضب والحمق، والانفعالات عند ما يأكل الباذنجان بكثرة.

العبرة بالخاتمة

وهنا التفت حافظ جميل الى صديقه خالد الدرة ناصحا ومرشدا يا اخي خالد ، اعرف انك عصبي المزاج فارجو ان لا تفرط في تناول الباذنجان ولاعتذر لك

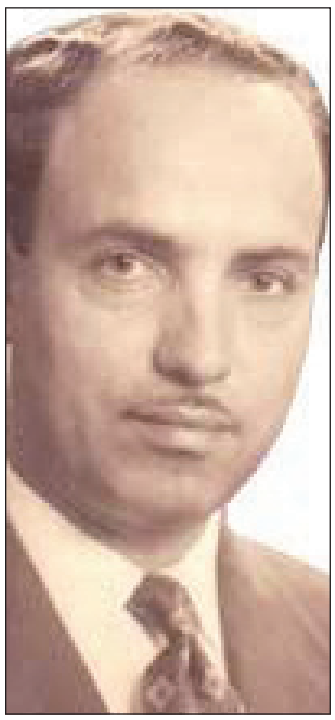
سالم الالوسي

انك تحب اكله والتلذذ باصنافه! فاجابه الدرة: العبرة بالخاتمة، وانني انصحك يا حافظ ان تبادر بترك المكان لئلا يحصل ما تحمد عقباه! فضحك الحاضرون وهنا اجابه حافظ: (هذا اول الغيث ثم ينهمر الم اقل لك: لا تطمع باكل الباذنجان وقد ظهر تاثيره عليك!
لقد اوحت الوليمة واصناف الاطباق من الباذنجان الى الشاعر حافظ جميل ينظم قصيدته الرائعة الباذنجان ضمنها اوصافه للباذنجان وانواع الاكلات التي تعمل منه، وفي احد ابياتها انذار الى خالد الدرة من عاقبة ولعه باكل الباذنجان، نقتطف منها ما يلي:

حدق كاحسن ما ترى العينان
من قال انك غير باذنجان
احدى سليل اقنة لم يالفوا
الا حياة الورد والبستان
واستقبلوا حر الصيف وشمسه
بحرار كل مظلل فينان
حتى اذا اشتد الحرور وخانهم
برد الظلال ونسمة العذران
هجروا مراجعهم وعبر رصيفهم
شهر وعبر كهامهم شهران
عقدوا الذوائب في الجياد وترجوا
هاماتهم بغدائر الريحان
سود غزوا صيفا بخضر عمائم
وترى الرماح ركزن في التيجان
ما شأنهم لون السواد وياسهم
يزري ببأس كواسر العقبان
دسور بذور الشرطي ضلوعهم
وتسربلوا بمدارع الرميان
من مثل عنترة الملاحم بفارس
او مثل طارق قاهر الاسبان
او مثل كافور اذا لاحيته
ونبشت منه كوامن الاضغان
يا خاذل العقلاء في افهامهم
لاباء عقلي منك بخذلان
لو لم تكن للعقل اول مذهب
مارشح الفضلي للاعيان
اني لاخشى يا ابن درة ان ترى بعد الوقار نزيل مارستان .

حافظ جميل وسالم الالوسي

من كتاب الزيات المفقود (صور بغدادية)

النادي العسكري

احمد حسن الزيات
كاتب عربي كبير

الاستاذ الزيات اديب مصري كبير، ومترجم نابغة، كان استاذا للاداب العربية في الجامعة الامريكية بمصر، وهو اليوم استاذ الاداب العربية في دار المعلمين العالية ببغداد، درس العلوم العربية في الازهر ودرس الحقوق والادب في فرنسا ونال بالاول منهما شهادة الليسانس، وهو معروف لدى الطبقة المتأدبة من قراء كتبه القيمة ومطالعي الصحف المصرية، وله منزلة سامية في عالم الادب، فاذا حدثك في الادب فلا ينبؤك مثل خبير به، واذا ترجم لك مقطوعة فلا تشعر بغير كونها من وضع الاستاذ نفسه.

ويمتاز اديبنا مع شدة تمحيصه واستباطه الحقائق، بسبك العبارة، وموسيقية اللفظ، وحلاوة السجعة غير المتكلفة، مع دقة تعبير وجميل وصف.

وسوف تقرأ لحضرته مقالا من هذا الطراز في كل عدد.

الذ ما اتذوقه من جمال بغداد وقفة في حديقة النادي العسكري كل صباح! فتراني احرص عليها حرص العابد المتحدث على اداء صلاته، او العاشق المتوجد على لقاء حياته. فانا اغشى كل يوم هذا المجتلى الساحر في رونق الضحى او في منوع النهار فاجد الشمس قد لألأت ذوائب النخل وغوارب النهر واخذت ترشق باشعتها وغوارب النهر واخذت ترشق باشعتها الظلال الندية من خلال الشجر، وبنات الهديل يبحثن كعادتهن في عساليج التين واغصان التوت بارجلهن ومناقيرهن وهن يرجعن على التعاقب الحان الخريف، والحديقة مطلولة النبات منضورة الزهر تتنفس بالفاغية تنفس الطفل الحالم، والسكون مرهوب الجلال انيس الوحشة يعمق ثم يعمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت!! النادي خلوا من اهله فلا تجد الا بستانياً يعمل في صمت، وغلاما يكنس في هدوء، وطفلين جميلين يجيئان احيانا فيجلسان في الشرفة او يمشيان في الحديقة فلولا نشوز خادمهما الكهل ومنظر هندامه الزري الشكل لحسبتهما زهرتين من زهورها او عصفورين بين طيورها،!

فاسير في الروضة متئد الخطى مرسل النفس مرهف الحس، تارة بين مماشيها، وتارة فوق حواشيها، فاقف عند كل شجرة، واحيي كل زهرة، واسأل النبتة الوليدة بالامس ما حظها اليوم من سر الحياة ونعمة الوجود !! ثم اصعد درجة الى الشرفة، وانعم ساعة بتلك الوقفة، فاتنسم هواء النهر ملء رئتي، واخذ جملة المنظر بمجامع عيني،! واي منظر يسحر اللب ويملك الطرف كهذا المنظر الفاتن؟! الحديقة من ورائي ترف بالنسيم الاريج وترق بالرواء البهيج وتروع بالسكون الملهم!!

ودجلة الخالد من امامي تتجاوب اصداء الامم خافتة في لجاجه، وتتهادى خفاف القوارب راقصة بين امواجه، وانا بين الشجر والماء كالطائر بين الارض والسماء، يسبح خاطري في اجواء الماضي القريب والبعيد صاعدا الى فكرة اوهابطا على ذكرة او حائما حول منظر كهذا النظر تدفق به قلب في قلب، امتزجت فيه نفس بنفس، وتجمعت الاحلام والاماني كلها فوق رقعة صغيرة من ارضه، وتحت سرحة فينانة من روضه!!

لا تظنن هذه الحديقة فيحاء قد تألقت فيها يد الطبيعة، وتالق بها فن الانسان!! انما هي مربع من الارض على قدر ما يتسع له فناء كبير او منزل فخم، يشقها ممشيان مرصوفان معروشان قد تعارضا على شكل صليب فقسماها الى اربعة اقسام سواء، وفي هذه الاقسام وما الحق بها قام دوح السدر، وبسق سرح اليوكالبتوس، وانتظمت على جوانب مماشيها اشجار التاريخ، انتثرت على معظم ارضها الوان قليلة من النور الجميل والورد العطر، فسماؤها كما نرى للشجر وارضها للزهر وجوها للعطر وهي كلها لنوع من الجاذبية يجعلها على بساطتها فتنة الفنان وجنة المفكر!

ليت شعري ما مصرد هذا السحر الذي يشع في عيني ويشيع في نفسي كلما دخلت هذا المكان؟؟ اهو ذاك البناء المتآكل الذي يقوم في جنوبيه كأنه المعقل البالي او الدير المهجور، ام هو ذلك النهر الجميل الذي يجري في غربيه كانه الزمن الدافق او الكتاب المنشور، ام هو ذلك المريج العجيب من جلال القدم في المكان وجمال الطبيعة في البستان وعظمة الحياة الماثلة في النهر؟؟

ليس للروح العسكري في هذا المكان الشعري مظهر ولا اثر. فما تعهده من الخشونة في الثكنات والعنف في الحركات والقسوة في النظرات والكلمات يحول هنا الى ذوق فنان ورقة شاعر وهدوء فيلسوف!! والعجب العاجب ان يكون بنو الكريهة وسقاة الحتوف على هذه الحال وحملة الاقلام وصقلة الافهام وكنهة الفن يرضون ان تقوم وزارتهم في خان، وناديهم في دكان ومدارسهم في (حيشان) وان يكون معهدهم المركزي المثلى معوذا من الجمال والذوق بقذارة افنيته، وسماجة ابنيته، ووخامة حجره!! فاذا كان لهم ان يتحاملوا على اذواقهم فيحملوها على ما تكره، فما جريرة الصبا الغريض والشباب النضر حتى يفسدون عليهما ملكة الذوق ويقتلون فيهما عاطفة الجمال وهما في الفتى مصدر احسانه وجوهر وجدانه؟؟ وما كلفة الشجرة والصورة والزخرفة اذا ادخلوا المسألة في باب الاقتصاد؟؟ ان الحديقة رئة البيت وزينته وبهجته، تنقى هواءه وتزيد وراءه ترفه عيشه، وهي في المدرسة فضلا عن ذلك القارئ البيان كتاب ولطالب الرسم نموذج ولدارس النبات مختبر!!

×××

مالي خرجت من الحديقة الى المدرسة، واليوم عيد من اعياد الطبيعة برزت فيه عارية من الحلل غانية عن الحلى؟ والخريف في العراق هو الربيع احترقت غلائله الوردية في لظى تموز!! فهو على تجرد ارضه من الانوار والازهار، وتحجب سمائه احيانا بالغيم واحيانا بالغبار، جميل البسمات عليل النسمات رفاف الاديم فها نحن اولا بين اعقاب الخريف وطلائع الشتاء وهذه الشمس لاتزال في ثغر السماء ابتسامة حلوة تضاحك النهر الحبيب فتزيده طلاقة، وتداعب الزهر الكئيب فتكسبه اناقة، وتطالع الجو المقرور فتقبسه حرارة، وتصارع برد الموت في اوراق النارنج واطراف التوت فتطبل بقاءها فترة اخرى من الزمن!! وهذه اليمامات السواجع، مازلن يأوين الى اعالي الشجر يمرحن في الضوء وينعمن بالدفء ويهتفن بالاهازيج كانهن في امنة من حلول كانون وهو منهن على ليال قلائل!! وهذا دجلة السعيد يتنفس موجه بالنعيم، ويطفح غرينه بالذهب، ويقذف تياره بالغثاء والزبد بعدما يحفره القيظ فنش حتى انكشف ضميره، وانقطع خريره وكان يزحف الشبوط والزورق فيه على القاع!! فالبواخر تصعد صافرات في سرعة والاطراف تنحدر صامعات في بطء، والقفف تعبر موقرات في هوادة، وقوارب الصيادين وزوارق الملاحين تتعارض وتتحاذى في عباب النهر كانها الخواطر الحائرة في الفكر العميق، والطيور الصائدة تحوم على وجوه الماء باجنحتها الشهب حومان الامال على ستر الغيب الصفيق والبجعة الملكية تطعن في صدور الموج بمنقارها الطويل العريض، هي تسبح آمنة في حي البيت العتيق، وانفاس دجلة اللاهص من عبء القرون تتصاعد الى حاملة انين الامواج وخفق المجاديف وغماغم الكرخ فتختلط بتجاوب اليمام على الشجر وتناوح الرياح بين الغصون وحشرجة الاوراق الذاوية على الارض، فتتألف من هذه الاصوات الخافتة موسيقى روحية شجية تبعث رواقد الاحلام وتثير كوان الالام وتقطع بين النفس وبين وجودها الحاضر!!

ايه يا دجلة يا سجل الامم ورواية العصور!! لشد ما فنيت في خريرك ضحكات وامتزجت بنميرك دموع، وخفيت في ضميرك اسرار!! لقد رأيتك بالامس ضارعا قد لصق خدك بالارض حتى حم بخوضك الخائض، وهمدت حياتك حتى اوشك ان يسكن عرقها النابض، ثم رأيتك اليوم وقد غالك الغيث فجاشت ينابيعك الثرة بالنماء والثراء والقوة، ثم اقبلت كدأبك منذ آلاف السنين داوى الدارات صخاب اللج تعرضها ملحا على بنيك فيعرضون عنك اعراض البطر، ويؤثرون على فيضك الميمون ودق المطر، ثم يهينون كبريائك يا ابا الحضارات بان يجعلوا مبلغ همك حمل الارماث ونقل القفف ! فهل يعجبون اذا فار غضبك فجرفت السدود وجاوزت الحدود واصبتهم بالغرق؟..

م. (الاماني ع1) 1931

اول جمعية للطيران في العراق سنة 1931

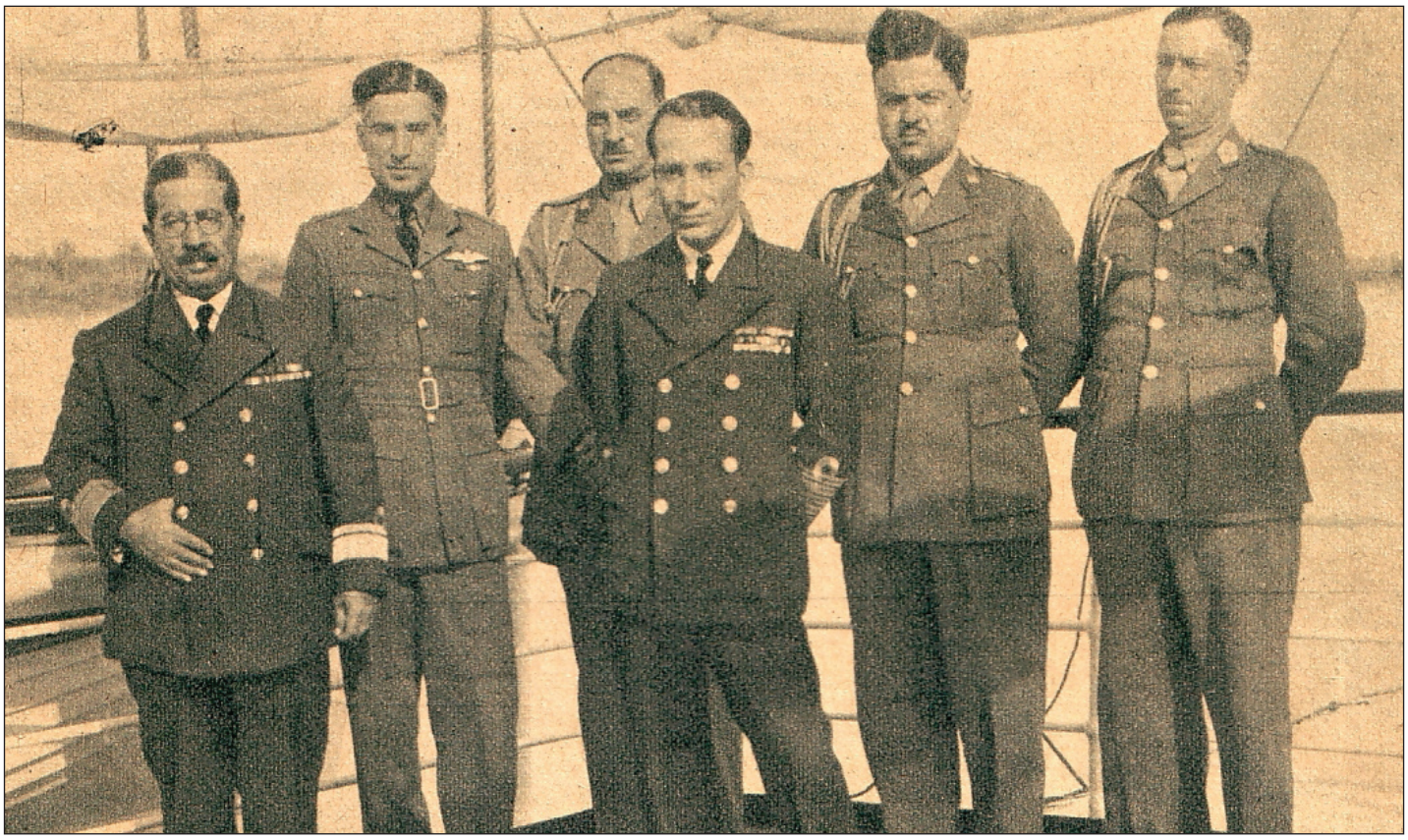

الملك غازي مع مجموعة من الطيارين

الملك غازي بملابس الطيران

أكتمل تدريب طياري القوة الجوية العراقية في بريطانيا وكانت الدورة الاولى تضم كل من:

١- الضابط الطيار حفظي عزيز
٢- الضابط الطيار أكرم مشتاق
٣- الضابط الطيار موسى علي
٤- الضابط الطيار محمد علي جواد
٥-الضابط الطيار ناطق الطائي

الطيار / محمد علي جواد

هولاء النخبة من الطيارين العراقيين الذين تم تدريبهم في بريطانيا على طائرات ذات محرك واحد ومروحة الطائرة كانت مصنوعة من الخشب أسم الطائرة -أفروليتكس- وبعد اكمالهم الدورة كان العراق قد أشترى خمس طائرات - جبسي موت - سرعتها كانت أنذاك تصل الى ٨٠ ميل / ساعة وقد ادخل الطيارين الخمسة دورة في بريطانيا على هذه النوع من الطائرات واصبحو جاهزين للطيران عليها ونقلها الى العراق

فديو عن طائرة الجبسي موت :

http://www.youtube.com/watch?v=FZwzCn__VtIQ&feature=related

وكان على الطيارين جلب طائرات - الجبسي موت الى العراق وكان خط سير الرحلة هو :

بريطانيا الى باريس × ليون × مرسيليا × ميلانوا × يوغسلافيا زغرب × وبعدها الطيران الى بلغراد × صوفيا × أضنة × والطيران الى أسطنبول × أسكي شهر × أدرنة × وبعدها الطيران الى حلب في سوريا × وبعدها الطيران الى بغداد ..

وكانت الرحلة بأرتفاع الفان قدم الى ستة الف قدم وأستغرقت الرحلة تقريبا اسبوعين وقد وصلت الطائرات بسلام الى معسكر الوشاش في الساعة الخامسة عصرا يوم ٢٢ / نيسان / ١٩٣١ ووصف الرحلة الضابط الطيار حفظي عزيز بان في بعض الاحيان كانت السيارات تسبقهم في السرعة وخاصة عندما تكون السرعة الامامية للرياح المواجهة للطائرة اكثر من ٢٥ ميل ساعة فوق اوربا وتركيا.

وقد استقبل الطيارين و الطائرات الملك فيصل والأمير غازي والمسؤولين في المملكة وجمع غفير من اهالي بغداد والموصل والبصرة بمناسبة وصول الطائرات العراقية والذي أصبح تاريخ وصول الطائرات الخمسة للعراق عيدا للقوة الجوية العراقية وأصبح للشعب العراقي أهتمام أخر و هواية أخرى وخاصة في صفوف الشباب البغدادي..

الملك غازي بين طياران أجنبيان

وكان الشباب يأتي الى السياج الخارجي لمعسكر الوشاش لمشاهدة اقلاع وهبوط الطائرات العسكرية العراقية وتزايد الطلب على الأنتساب الى القوة الجوية العراقية بشكل كبير واصبح الشغل الشاغل ايظا للأمير غازي أبن الملك فيصل الاول ووهواة الطيران هو مشاهدة الطائرات الجبسي موت والأحتكاك المباشر بالطيارين والأستماع الى المحاضرات الخاصة بالطيران وكيفية اقلاع وهبوط وطيران طائرة الجبسي موت وتسليحها والمناورات الجميلة التي يقوم بها الطيارين العراقيين وقد شجع هولاء الضباط الطيارين الخمسة كثيرا الأمير غازي لفتح جمعية للطيران المدني في بغداد وهكذا الفكرة تبلورت جيدا لدى الملك غازي وخاصة بعد وفاة الملك فيصل الأول وصدرت الأرادة الملكية في ٢٤ / ٥ / ١٩٣٣ بتاسيس جمعية الطيران العراقية

عن نشرة (الطيران)

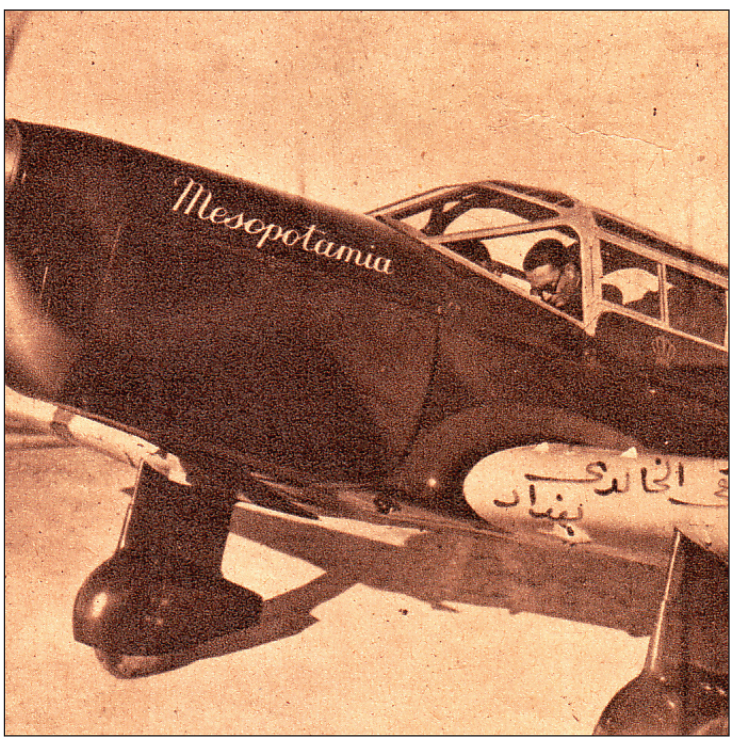

الملك غازي في طيارته الخاصة

ذكريات لا تنسى مع خليل الرفاعي

عبد الجبار محمود السامرائي
كاتب باحث عراقي

من منا نحن العراقيين لم يستمتع باعمال خليل الرفاعي (ابي فارس)؟ فقد اتحفنا طيلة ستة عقود من عمره (١٩٢٧ – ٢٠٠٦) باعمال درامية لا تنسى، حتى استحق ان يسمى (فنان الشعب) اسوة بالفنان الكبير يوسف العاني وغيره من نجوم الدراما العراقية..

ولد الرفاعي في منطقة (درب الفوك) اي (درب العالي) او (العالية) اختصارا، وكانت هذه المنطقة تعرف باسم (راس الجسر). في المدرسة الابتدائية، اشترك في التمثيل، حيث قدم مسرحية (الطبيب). وفي ثانوية الكرخ قدم مسرحية (زقزوق) وعلى اثرها عين في دار الاذاعة.

وفي عام ١٩٤٢ كان في منطقة الحيدر خانة ببغداد فنان يعلم العزف على العود، على النوتة الشرقية، فقرر خليل الرفاعي ان يدرس العود الشرقي على يد هذا الاستاذ. وكان اول درس تعلمه منه هو سماع شعر بسيط : (يا بلبل غني جيرانك). وفي عام ١٩٤٥ احترف الرفاعي التمثيل في مسرحية (وحيدة العراقية) تأليف موسى الشابندر. وفي عام ١٩٤٦، قدم الرفاعي اوراقه الى قسم التمثيل في معهد الفنون الجميلة، لكن اسمه ظهر في قسم العود الشرقي! ولم يواصل الدراسة في المعهد ، لكنه واصلها فيما بعد، كما سنعرف لاحقا.

كما عرف الفنان خليل الرفاعي ممثلا وكاتبا في عشرات المسلسلات التلفازية، وزامل اكثر من فنان من مختلف الاجيال وكان من بين اشهر اعماله: مسلسل (تحت موسى الحلاق) بالاشتراك مع الفنان الراحل سليم البصري والفنان حمودي الحارثي، هذا المسلسل الذي لازال العراقيون يتذكرونه في الستينات من القرن الماضي ويتلذذون باحداثه المثيرة للضحك. ومن اعمال الفنان خليل الرفاعي الاخرى، القهوة البغدادية، وابو البلاوي والشريعة وغيرها كثير. يقول ابو فارس: (قدمت ٨٥ مسرحية و٨٥٠ مسلسلا وسهرة منوعة)، ويذكر ان شخصية (ابو فارس) شغلت الجمهور العراقي لبساطتها وشهامتها وعفويتها، لدرجة ان الناس كانوا يحتفون حوله في كل مكان علم يظهر فيه، فيخاطبونه بـ (ابي فارس). ومما اتذكره في عام ١٩٦٨ ان خليل الرفاعي، يتمشى في شارع السعدون ببغداد، فكان الناس يتجمهرون حوله ويسلمون عليه، وفي ذلت ليلة جاء الفنان خليل الرفاعي الى سينما اطلس ببغداد، وجلس في (لوج) فاحتشد الجمهور حوله، وكان يجاملهم ويجاملونه باحترام متبادل، وكان ذلك في عام ١٩٦٨، حيث لم يزل يتمتع بنعمة الشباب والوسامة والابتسامة المعبرة.

واتذكر ان فتى قال للفنان خليل الرفاعي، ببراءة، حيث كان يجلس وزوجته في (اللوج) بسينما الاطلس: (عمو؟! ليش ماجبت فارس وياك للسينما؟!).

وهنا، انحدرت دمعة من عيني ابي فارس (لانه لم ينجب ولدا) واخذ يداري دموعه وقال للفتى: انت ولدي.ز ما اسمك؟

فقال له الفتى: اسمي فارس!

ومن ذكرياتي عن الفنان خليل الرفاعي، انه دخل معهد الفنون الجميلة – الفرع المسائي خلال الاعوام ١٩٨٢ – ١٩٨٥ وتخرج في المعهد للحصول على الشهادة، وكان يدرس في قسم المسرح، ومن زملائه الفنان سامي قفطان، والفنانات عواطف نعيمة وفاطمة الربيعي، وزهرة الربيعي، والمخرج عبد الهادي مبارك وغيرهم، وكان الرفاعي يتصرف كطالب، ويتمتع باخلاق عالية وكان عف اللسان، وله منزلة خاصة في قلوب زملائه في المعهد.

واتذكر ان معهد الفنون الجميلة، الفرع المسائي، نظم سفرة سياحية جماعية للطلبة الى بحيرة الحبانية في العام ١٩٨٣، وكان الفنان خليل الرفاعي من بين الذين ذهبوا الى هذا المنتجع الجميل، وكان يصطحب زوجته الفاضلة السيدة ام فارس. وكان الفنان خليل الرفاعي يجيد الغناء والعزف وكان يصطحب معه عوده فاخذ يغني ويعزف على العود، وقد غنى مقاطع من اغنية (الحب كله لسيدة الطرب ام كلثوم، وقد نالت اعجاب الطلبة لصوته الرخيم وعزفه المتقن، وماثة خلقه، ورقة عواطفه واحاسيسه المرهفة وادبه الجم.

ومن ذكريات الفنان الرفاعي التي اشار اليها وتدل على عمق محبته في قلوب العراقيين، قوله، (في يوم من الايام، ذهبنا الى منطقة عين التمر في محافظة كربلاء، وقد غرزت سيارتنا في الرمل، فقال لي زملائي: اليوم يومك ابو فارس، الست القائل بان كل الناس يعرفونك؟

فجاء شيخ وقال لي: حيا الله ابو فارس! فقل له: حياك الله، ولما نخوته لاخراج السيارة من الرمل، انتخى هو واهل القرية، وساهم معهم ومعنا في دفع السيارة واخراجها من المأزق.

ومن المفارقات التي شاعت عن الفنان خليل الرفاعي: يقول رحمه الله: (جاء منتج لشركة بريطانية الى بغداد وشاهد تمثيلية لي وللاستاذ كامل القيسي وقال: (اريد هؤلاء الممثلين). وفعلا التقينا المنتج يوم ١٢ من تموز ١٩٥٨، واتفقنا على ان يكون موعد كتابة العقد هو ١٤ من تموز ١٩٥٨. ولكن قامت الثورة في هذا اليوم ، فغادر المنتج العراق وذهب الى القاهرة، واختار الفنان نور الشريف بدلا مني كما اختار رشدي اباظة بدلا من كامل القيسي.

لقد كانت حياة الفنان خليل الرفاعي حافلة بالعطاء الفني المتدفق، فقد اسس مسرح بغداد، وقدم برامج للاطفال عبر الشاشة الصغيرة، وماتزال اعماله الدرامية ذات نكهة وحلاوة خاصة لدى العراقيين.

واذا كان لنا من وصف لشخصيته الفنية وحبه لعمله وتفانيه من اجله، فيجب ان نقول بانه كان ملتزما مع المخرجين كافة، يحضر قبل ساعة من بدء العمل، تصويرا تلفازيا كان ، ام تسجيلا اذاعيا. كان الرفاعي يجلس مثل اي تلميذ في مكان العمل، وحين ينادي عليه، لا تسمع منه الا عبارة (حاضر استاذ) و(نعم عيني).. يقولها بروح بغدادية، وتلقائية ليس فيها لف او دوران، رحم الله الفنان خليل الرفاعي الذي كان نجما لامعا في سماء الدراما العراقية.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون